مرافىء شعرية

مقالات عن الشعر وشعر الهايكو الياباني

جواد وادي

منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق

مرافىء شعرية

مقالات عن الشعر وشعر الهايكو الياباني

جواد وادي

إصدار الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق
الطبعة الاولى 2018

مرافىء شعرية

جواد وادي

رقم الايداع:

الطبعة الاولى 2018

اصدار الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق – بغداد

جميع حقوق الطبع والنسخ والترجمة محفوظة للاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، حسب قوانين الملكية الفكرية لعام 1988، ولا يجوز نسخ او طبع او اجتزاء أو إعادة نشر أية معلومات أو صور من هذا الكتاب إلا بإذن خطي.

First Edition 2018

Published by the Union of Iraqi Writers – Baghdad - Iraq

Revised copyright © The Union of Iraqi Writers the right of the Authors of this work has been asserted in accordance with the copyright, Design and Patents Act 1988.

طباعة : دار الرواد المزدهرة للطباعة والنشر والتوزيع

Printing : Dar Al-Rowad for Publishing and Distribution

جيل المحنة

(إلى روح كل من غاب في زحمة الألم في منافي العذاب، وتعفّر دمه بتراب الوطن الذبيح)

(من نحن؟)

سنوات عجاف مرت و لم يذق العراقيون طعم الراحة ولا حتى حلاوة الحياة من حيث الاستقرار النفسي والحياتي والعائلي، منذ مطلع الخمسينات الى ان يغيّبهم الموت وهم بعيدون عن الاهل والأحبة ودفء الوطن، نحن جيل المحن والانكسارات والا لم الدائم.

قدر لعين ما انفك يلاحقنا منذ ان بدأنا مراحل الطفولة الاولى، وكأنها لعنات تلاحقنا ولا فكاك من قسوتها ومرارتها، لعلنا إذا ما

قارنّا أنفسنا مع الاجيال العراقية الاخرى، قد تتفاوت نسب العذابات وقد يكون جيل من هذه الاجيال قد عاش سنوات قليلة من الهدأة وخفوت العاصفة، ثم يبدأ هديرها أكثر عنفا ليطغى الخوف ويصبح المصير غير المعلوم قدرنا في الانتظار.

هكذا توحّدت الاجيال العراقية في ذات الفزع الدائم، لكنما جيلنا نحن الخمسينين منذ وقت تحسس الأشياء الأولى وما زلنا، ننوء بثقل الأحمال المهولة ، كانت البدايات تلك المعارك السياسية التي كانت مطاحناتها بين الاحزاب السياسية تنال الأبرياء ومحدودي التكوين والفهم لما يجري، حيث أن الحقد والضغينة كانتا السمتان اللتان ادمنت عليهما الأحزاب السياسية، سيما بعد ان دخلت على الخط السياسي أحزاب لها توجه شوفيني وقومي مقيت، كحزب البعث المنهار مثلا، لكنما العداء الأكثر استفحالا كان بين أحزاب اليسار والسلطة التي تمادت في غيّها حين رهنت الوضع العراقي في فلك المخططات المعادية لكل ما هو تقدمي آنذاك، واستمر ذلك العداء بأشكال مختلفة وبوسائل تصل احيانا حد التصفيات السياسية والاغتيالات، تلك الطرق التي غالبا ما يلجأ اليها الفاشلون السياسيون والمتسلقون والأوباش ومنعدمو الأفق السياسي المتنور، فذهب ضحية هكذا سلوكات المئات، بل الالاف من الأبرياء. والقصور الاساسي في

هكذا كوارث عانى بسببه الشعب العراقي امرّ المحن، وكان يكمن في القيادات السياسية التي كانت عاجزة في قراءة الأوضاع بعين العارف والمتبصر بأدق الأمور، فلجأت الى اقصر الطرق في زحزحة الآخر بكل الوسائل، حتى البغيضة منها والأشد دموية، وكان حزب البعث منذ ذلك الوقت، قد أسس لتقليد أرعن في السياسة العراقية بإتباع طريق القتل والتآمر والاغتيالات، متصورا انه الطريق الأسلم والأقصر في زعزعة الاوضاع تمهيدا لاستلام السلطة فكان حزبا ميكافيليا بامتياز بتطبيقه قاعدة الغاية تبرر الوسيلة، ولا يهم ان يتعبد هذا الطريق لديه بالجثث والضحايا وجماجم الأبرياء، المهم كانت السلطة هي الهدف الأسمى لديه.

جاءت ثورة تموز بعد الاحتقانات التي طغت على الشارع العراقي تتويجا لما كان يعاني منه المواطن العراقي البائس من اقصاء في تقرير مصير البلاد وبعد ان ادخلت سياسات نوري السعيد البلاد في دوامة جلبت عليها الغضب الشعبي المتعاظم فثار الشارع العراقي مؤيدا وداعما بقوة لذلك الزلزال، وارتكبت الاخطاء القاتلة التي كانت تنم عن طغيان العاطفة على رجحان العقل واستيعاب المتغيرات الجديدة، فسال الدم العراقي انهارا من هذا الطرف أو ذاك دون ان يرف للسياسيين جفن الرحمة والتأسي على الضحايا حتى وإن كانت من

الاعداء السياسيين، فكانت تلك السنوات بحمولاتها الخطيرة بداية الكارثة ووضع العراق على سكة الأخطاء المميتة والأخطار المتعاظمة، وكان الأجدر بالأحزاب التي كانت تؤطر الشارع العراقي ان تقوم بتهدئة الأوضاع والتقارب مع بعضها، بدل دق إسفين الحقد والكراهية والقتل المجاني، تلك الممارسات البهيمية القاصرة التي كانت اللبنات الاولى التي اسست لخراب العراق ومعاناة العراقيين حتى يومنا هذا.

كان جيل المحنة هو جيلنا، جيل الفقر والحرمان والتسيس الأخرق والحقد المتوارث الذي سبب الإحتراب والعنف والدموية، فكان منقسما بين ضحية وجلاد، والمأساة ان تجد من ذات الجيل من عاد جلادا ومن اصبح ضحية ، حيث بات اقصاء الآخر للآخر، سمة وسلوكا وقضية حتى وان اتسمت بالدموية والتصفيات البشعة بين سكنة الحي الواحد، وزملاء المدرسة الواحدة، والعمل الواحد، والكلية الواحدة، والمصنع الواحد، والجيرة الواحدة، والزقاق الواحد، وحتى احيانا بين افراد العائلة الواحدة، فاختلط الحابل بالنابل، ونبتت احقاد انتشرت بين الناس كانتشار النار في الهشيم، وتنامت الكراهية بشكل بشع، فبات الواحد عدوا للآخر دون ان يعرف السبب احيانا، وعاد الغدر وكتابة التقارير الكيدية ديدن ابناء الجيل الواحد، طمعا في

المناصب او الامتيازات او حفنة من المال، واصبح بيع الضمير حذلقة وفوزا وتزلفا وممارسة لا يعاب على صاحبها بدعوى الدفاع عن الثورة والحزب، دون ادنى احساس بالآدمية واحترام الذات وعلى قدر رهيب من الوضاعة .

كانت ثورة تموز بداية الكوارث رغم توجهها الوطني وايجابياتها العديدة، ولم يكن بوسع الزعيم خالد الذكر المغدور عبد الكريم قاسم، ان تتوضح له الصورة بسبب طيبته وطموحه الوطني في التغيير الجذري والتقرب من وطنيي العراق وقادته وإرضاء القائمين بالثورة وردم الهوة السياسية بين الأحزاب، ومواجهة التحديات المتربصة بالثورة داخليا وخارجيا، وغيرها من الملفات التي ضاع في فوضاها وبات ليس بمقدوره ان يتبين الخيط الأسود من الخيط الأبيض واسودّت امامه الصورة، ولم يجد من مُعين وساند، إلا القلة القليلة، وكان كل طرف يهيم بما يريد ان يفعل وما ينوي القيام به، وساهم في هذا الوضع الشاذ القصور السياسي والممارسات الخرقاء لبعض الأحزاب التي كان لها من الخبرة التاريخية ما يؤهلها لأخذ المبادرة وانقاذ البلاد من الطريق المجهول التي كانت آخذة في السير على هداه، فقامت بأفعال يندى لها الجبين، وساهم في تعاظم هذه الاخطاء دخول الحاقدين والمندسين واعداء العراق ومسيرة التغيير الجديدة وما الى

ذلك، فأخذت الكوارث تترى والكل في حيرة من امره، ولا يُعرف ما ينبغي فعله، فتحملنا نحن السيئ الحظ، وزر هذه الأخطاء، سيما نحن الفقراء من هذا الجيل، فعدنا فئرانا في مختبرات الساسة، يجرون علينا تجاربهم ونحن وراءهم سائرون، واخص بالذكر اولئك الناس من جيلنا من تربّى في احضان الاحزاب السياسية التي كانت تحمل من الوعي السياسي والطبقي ما كان يفوق الممارسات على الواقع، وهذه كانت الكارثة العظمى والمفارقة العجيبة العصية على الفهم والتفسير.

حين قامت الثورة كنا في العقد الاول من عمرنا واخذتنا حمية السياسة بعد ان رضعنا أولى مبادئها داخل أسرنا، ولا غرو ان يتربى طفل لم يعرف ألف باء السياسة، على مفردات لم يألفها مثل، الطبقة العاملة، وحزب العمال، والرفاق الميامين، الذين أعدمهم النظام الملكي، ووجوب استلام السلطة، وتوزيع الأرض على الفلاحين، والحفاظ على الثروة الوطنية، وما الى ذلك من شعارات كنا نسمعها في المنازل والمقاهي والشوارع ولم نفهم معانيها، ولكنها كانت بمثابة التلقيح الاول للتشبث بها، والتباهي بمحبتها، رغم عدم معرفتنا بمدلولاتها. تعلقنا بزعيمنا وحزبنا وثورتنا والقيم المجيدة التي جاءت بها الثورة، وتعلق الاخرون من ذات الجيل بقناعات مغايرة ترفض الأولى وتصطدم معها، واخذت بذرة الصراع تتنامى يوما بعد آخر، وبات

الانتماء لهذا الحزب او ذاك سمة جيلنا، ويندر ان تجد طفلا او يافعا أو شابا لا يدافع عن طرف دون طرف، ناسين جميعا اننا ننتمي الى وطن واحد، وعلينا ان نتغنى بهذا الوطن، واضعين اليد باليد، وندع الاختلافات جانبا ونغلّب محبة الوطن على الاحتراب فيما بيننا، لماذا كل هذا الصراع الذي تربى عليه ابناء الجيل الواحد؟ كنا نحن ضحايا الكبار الذين لم يفقهوا ابدا معنى السياسة، آخذين بنظر اعتبارهم ان السياسة هي الحزب، والقومية، والدين، والطائفة، ليأتي الوطن ثانيا، وهنا كان الخطأ القاتل والطامة الكبرى. واليوم يتكرر ذات المشهد وذات النهج وذات الخراب.

نحن الذين ننحاز الى حزب الطبقة العاملة، ونحن نحتفل بالأعياد الوطنية ونرفع شعارات تمجّد الثورة ورجالاتها، وتندّد بأعدائها، وكان الطرف الآخر من ذات الجيل يرفع شعار المعاداة لنا ويتحين الفرصة للانقضاض علينا، واذكر اننا الاطفال الهاتفون مع الآخرين، نواجَه بمصادمات وزجاجات حارقة تلقى علينا ونقوم بالدفاع ثم الهجوم ويحصل الاشتباك الذي يستغرق لوقت من المناوشات الى ان تفضها قوى الامن، ونبدأ بعد ذلك بعد ضحايانا، ويقوم الآخرون بنفس المهمة، وكل طرف يتوعد الطرف الاخر للجولة الثانية ونحن معا على ذات الخشبة من مسرح الاقتتال، وهلم جرا.

تلك هي الاوضاع (المجازر) التي تربينا في كنفها وترعرعنا عليها واخذ الحقد يشكل سمة تربوية واخلاقية فاضلة، ومبدأ الانتقام شرعة وقانونا واثبات وجود. وكان الاجدر بمن هم أكبر منا سنا وتجربة ان يتركوننا نعيش في سلام ومحبة ورخاء، نمارس طفولتنا دون حقد او ضغينة. ولكن البناء الذي ساهم الجميع في تأسيسه، بناء الشخصية المريضة التي تتغذى من الكراهية ومص دماء الاخرين، شخصية سادية مرتبكة وخرقاء ادت بنا الى كل هذه الكوارث التي حتى وان امتدت لقرون اخرى، لم تحصد غير الخراب والدمار والشر، والكل في نهاية المطاف وهذه العروض المخيفة، يخرج خاسرا وبخفي حنين رافعا يد الاستسلام ولكن بعد فوات الاوان.

اذن ما الذي جنيناه نحن جيل الخمسينات؟ بعد سقوط الثورة ومهرجانات الدم التي شرعت في بداية الثورة والمجزرة التي حصلت للعائلة المالكة وبمذابح الموصل وكركوك وغيرها من المدن العراقية المنكوبة، وبعد الخراب الرهيب والمال المهدور الذي يكفي لإعمار العراق ليصبح قبلة لمحبي الحرية والسلام، خرجنا بانقلاب دموي راح ضحيته قادة الثورة ورجالاتها الوطنيين وبات القتل والقتل المضاد والعنف والعنف المضاد دربة ل(لوطنيين) الافذاذ، فعاش العراق مهرجانات الدم المرعبة وقاد البعثيون حملات التصفية المضادة

حصدت ارواح الالاف من العراقيين حتى أولئك الاشد وطنية والاكثر عشقا للعراق، انتُهكت الاعراض واستمر الموت يعشعش في كل بيت عراقي ودون استثناء انطلاقا من مبدا: تصفية من كان عدوي بالأمس ومن معي ينبغي ان ينفذ ما اريد والا فالموت سيكون مصيره وهكذا اجتمع العراقيون في ذات المصير وتوزعوا بين قتلة وضحايا والخاسر كان هو الوطن، والخاسر الاكبر هو جيل المحنة ، نحن الذين كنا اول من دفع الثمن، وتلاحقت بعدنا اجيال المحن الاخرى.

عشنا في رعب دائم وعاش اقراننا من نفس الجيل في حالات من الانتشاء لذبح اهلنا واحبتنا وحتى ذبح بعض ابناء جيلنا والجميع لا يفقه شيئا لما يحصل. يفعلونها الكبار ويتلقاها الصغار. وبعد الانهار من دماء العراقيين الزكية والتي ذهبت هدرا، تعب الجميع جلادون وضحايا، بعد ان أنهكهم القتل والموت المجاني وعادت الحياة الى المربع الاول واخذ الجميع يلملم جراحاته للانقضاض ثانية على الاخر تمهيدا للجولة القادمة دون ان يعي أي منهم جدوى هذا العبث الصبياني واخذ العبرة من تجارب الماضي. وبدأت الجولة الجديدة وهذه المرة كانت الاشرس والاخطر والأكثر دموية وخرابا وفناء، توزعت بركاتها على كل بيت وحارة وشارع وجسد وذرة تراب ورمل من

ارض العراق لتتجاوز ابعد من ذلك ولتحرق ما تبقى من ناس وارض ومعالم تاريخية وحضارية بطريقة موغلة في الحقد والسادية والتدمير البشع والاجرامي الارعن.

تجند الجميع في طقوس الخراب هذه، فكنا نحن جيل المحنة قد بلغنا السن الذي من حقنا ان نتمتع بالحياة والعيش في بحبوحة الوطن الفاحش الثراء، حصل العكس تماما، فبعد ان عانينا الامرين في جولات الاقتتال السابقة سيما نحن المنحدرين من عوائل فقيرة ومعوزة، حيث لم نترك عملا الا وقمنا به، فكنا نجمع بين الدراسة والعمل لنستمر في الحياة موزعين بين الدراسة ومتطلبات الحياة ومساعدة عوائلنا، خبرنا المحن منذ نعومة اظفارنا و لم نذق طعم الراحة والعيش الذي ينبغي ان نستمتع به نحن المنتمين لأثرى بلد في الكون، عشنا في عوز ما بعده عوز، ناهيك عن المخاطر التي كانت تلاحقنا ونحن نتبع السياسيين ولا نبالي بالخطر الداهم ليفاعتنا وطراوة عودنا وجهلنا كذلك بما يفعله الحكماء من قادتنا والمثل الاعلى لنا.

في نهاية الستينات ونحن لم نزل في مرحلة الدراسة الثانوية، شرع البعثيون وزمر الخراب في الانقضاض على السلطة بالتعاون مع رموز الفتنة والحقد فوافق "شن طبقة" وركب الجميع موجة العبث الحقيقي واختلطت الاوراق وعادت لغة الموت هي السائدة وبرز الفاشلون

والمهمشون وذوو السوابق الاجرامية والمتسلقون والبلطجية وانصاف المتعلمين ومن عافتهم الارض والبشر على حد سواء، وانتشروا في الارض العراقية كالجراد، وعبثوا بكل شيء حتى بأنفسهم وباتت لغة الازاحة والموت والاقصاء والتدمير هي السائدة، ونحن جيل المحنة وسط مشهد الخراب هذا، لا حول لنا ولا قوة ومما زاد الطين بلته، ان الحزب السياسي الذي كان ملاذنا ومآلنا وخيمتنا التي تقينا شر الاهوال هو الذي ساهم بهذا الخراب وان لم يكن بالفعل المباشر، انما في الفهم المغلوط في طبيعة من تحالف معهم، وقلنا وقتها دعونا ننتظر النتائج، وهذا الانتظار لم يكن اكثر من مغامرة غير محمودة العواقب، وكان من القادة من راهن على الاكثر قتلا وجرما وصبيّنة سياسية، فكانت المقامرة غير المحسوبة النتائج وتلاحقت الكوارث المعروفة للجميع دون الدخول في تفاصيلها، ولكن ما يهمنا هو الجيل الذي عاثت به الاحداث دمارا، ولم يعرف هدأة وكانت تتقاذفه الاحداث والمتغيرات الخطيرة فدفع ثمن اخطاء السياسيين القاتلة، وكان امام خيارين احدهما العن من الاخر، اما ان يدخل اللعبة السياسية القذرة بكل سيئاتها ومهازلها، او يهرب بجلده من المحرقة ومن لم تتوفر له فرصة النفاذ بجلده فقد سلم امره لهذا القدر اللعين وسار مع التيار، ولكنه بقي محافظا على النزر اليسير من نقاء الضمير، ومنهم من انخرط

في اللعبة القذرة واصبح جزءا من سلطة القمع والتقتيل وكتابة التقارير الكيدية ومنهم "وكنا الغالبية العظمي" من تيسر له الهروب تاركا كل شيء من اهل واحبة وذكريات ووطن جريح وكتابات مبعثرة هنا وهناك، توزعنا في شتات الارض واصقاعها، ولكننا جميعا توحدنا في الخراب حتى أولئك الذين كانوا من اجهزة القمع والطغيان وهربوا بجلدهم بعد ان اقتربت منهم عجلة الموت وسياط المحو.

اذن تعالوا نتحاسب على سنوات عمرنا التي ذهبت هباء ولم نعرف منها أي شيء ولم نعش مثل بقية خلق الله في ارض العراق.

فمن لم يمت في الاقبية والزنازين مات في الحروب الهوجاء ومنهم من مات في المنافي والبقية تنتظر ما تبقى من سنوات عمرها الذي مرّغته المحن والويلات وباتت اجسادنا المنهكة تنتظر ساعة الرحيل، فما الذي جنيناه؟

مصطفى عبد اللّه

منجم شعري أفل قبل الأوان

"وأنا استحضر ذكرى الشاعر
المأسوف على رحيله قبل الأوان"

الشاعر مصطفى عبد الله يورّث اوراق وجده الشعري لمن عاشوا ومن رحلوا

السؤال الذي استوقفني كثيرا وأنا اقرأ نصوص ديوان الشاعر مصطفى عبد الله في باكورته الأولى (الأجنبي الجميل) التي صدرت بعد رحيله الفاجع، ونتمنى ألا تكون الأخيرة، والصادرة بطبعتين، قام بجهد

اخراج الثانية الشاعر عبد الكريم كاصد، صديق الشاعر وأحد المقربين من الراحل، شعرا وصداقة ورفقة درب طويل. صدرت الأولى عن دار المدى بعنوان "مكاشفات ما بعد الرحيل"، أما الثانية فصدرت عن دار الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة العراقية بعنوان "الأجنبي الجميل". وكان قبلا مجرد هم يتواردني بين الفينة والأخرى بُعيد رحيله، ذلك هو جمع ما تركه الشاعر من قصائد لم يستطع من نشرها لأسباب تتعلق به هو نفسه.

كثيرا ما تبادر لذهني سؤال لا بتجرده عن زمنه، بل من ذات اللحظة وأنا اسامر الشاعر في أوقات تواجدنا معا، حين كان يسكن في شارع علال بن عبد الله في الرباط العاصمة، سؤال يستوقفني كثيرا، وأنا أحاول أن أجد له تفسيرا منطقيا من خلال اعجابي الشديد بهذه التجربة المتميزة حقا، هل يمكن لوقار المبدع وتكوينه المتزن أن ينعكس على نصه الإبداعي ويمكّنه من إنتاج نصوص تشعر عند قراءتها بالكثير من التريث والقسوة في انتقاء المفردة ثم الجملة الشعرية فتجد نفسك كقارئ مسكونا بالكتابة الرصينة والوازنة أمام شاعر لا يتساهل أبدا مع نصه الإبداعي حتى وان اضطره هذا الأمر أن يعزف عن الكتابة إن لم يقتنع بما يكتب، بخلاف النص الطائش أو المكتوب بطريقة عجلى

ودون تمحيص لمجرد انه ينزع إلى الشهرة الفاقعة وبالتالي ينتهي من حيث يبدأ؟

وهذا الكلام مقتبس من كلام الشاعر الفقيد، حين كنا معا في الرباط عاصمة المملكة المغربية، باحثين عن عمل في نهاية السبعينات، وتحديدا عام 1978 .

هذا ما كان يتميز به الشاعر مصطفى عبد الله، شاعرا ومثقفا بموهبة، أُعجبت بها كثيرا، أنا الذي عاشرت وزاملت العشرات من شعراء سبعينيين، فوجدته صوتا يشي بالكثير من التميز العطاء والقدرة على انتاج مشروع شعري يشار له بالبنان ولكن بصمت ودونما بهرجة.

أوصلني هذا التأمل إلى الجواب الشافي من خلال إنصاتي أولا ثم قراءتي لاحقا لنصوص المبدع مصطفى عبد الله، فوجدتها ضالتي في القراءة النصية المؤسسة على اشتراطات الكتابة الحقيقية والجادة، حين ابلغ كثيرا في أن يسطّر وجده ومكابداته بصدق نادر وروية واضحة ووفية لنصه الذي أراده أن يمتلك مواصفات تحترم ذوق المتلقي، والعنوان يحيلنا إلى مواجد الشاعر التي وبنقاء، قد سطّرها خفية ووجدا ووفاء لمن يحب من مخلوقات تركت بصمات إنسانية على تكوينه الشخصي والمعرفي، ولا غرو في ذلك حين يقترب القارئ من شخصية المبدع بكل تفاصيلها الفاتنة لتعود القراءة أكثر بهاء و القا، والأمر

الآخر، أن عنوان الديوان "الأجنبي الجميل" قد وصلتني نصوصه قبل صدوره بكثير حين نالت بعض قصائد المجموعة، اهتماما ملحوظا في العراق نقتبس ما قاله الشاعر سعدي يوسف من اشادة فاتنة عن هذه التجربة الغنية والواعدة في وقتها آنذاك، ناهيك ان الشاعر شديد التعلق بهذه النصوص التي تشعر وهو يرتلها في المناسبات العديدة، أنها باتت تشكل ظلا يلازمه فيهنأ في قراءتها بوجد غامر.

النصوص التي ضمها الديوان هي خزين إنساني بامتياز، ذلك أنك، قلما تجد نصا غير مهدىً لوالديه أو لصديق أو أخ أو معلم أو شاعر أو مخلوق مر في حياته وترك لمسة حنان ولحظة دفء، دون أن يجتثها من التربة التي ندفتها النصوص والزمن الذي أحالها إلى وهج لحظي ظل ملازما لحياته تاركا أجمل الذكريات في حله وترحاله، واللافت حضور الأمكنة لمدينته البصرة بقوة، بتشخيص ذهني شديد التعلق بالبدايات الأولى، مغرق بالبوح والوجد والعشق الآسر.

كيف يختار الشاعر نصا من نصوص المجموعة ليزيّن به غلاف الديوان؟ الشعراء وحدهم يعرفون الإجابة، فالاختيار ليس عبثا أو لعبة نرد، إنما لا بد أن يكون للنص وقع خاص على نفس الشاعر، وحين نتمعن النصوص جيدا نجد الإجابة الشافية حين يسترسل الشاعر في نصه:

أنا الأجنبي

عرفت حدودي
فرتّبتُ لي وطنا من ورق
ـ إنه علبة للسجائر ـ
وحين يباغتني في المقاهي القلق
ويتبعني مثل عود الثقاب
ألم متاعي وأشعل سيجارتي
ثم أمضي،
خفيفا،
بما يحترق...!

شخصيا أعتبر هذه القصيدة مرثية فاجعة لكل العراقيين المبتلين بالمنافي والمشردين في أصقاع الكون وما يكابدونه من يتم وفقدان وملاذات وخوف من الآتي، استحضارا لقول الشاعر "بلدي وإن جارت عليّ عزيزةٌ..."، لأن الشاعر في توجس دائم ما دامت قدماه لا تشعران بالأمان والطمأنينة وهو في أرض غير أرضه وأهل ما هم بأهله.

يشدد الشاعر على أن يختار مفردته اللصيقة بتفاصيل وجده الإنساني فوظف كلماته: أجنبي، حدود، وطن، علبة سجائر، لينتهي مستفزًا للرحيل في أي وقت للبحث عن مأوى قادم، تلك هي طامة العراقيين، لخصّها الشاعر بهذا التركيز الشعري الدامي.

تلك هي الرصانة الشعرية التي أسلفنا في ذكرها حين يوحّد الشاعر بين الكلمة الراعفة، والخوف من الآتي، والوعي المتنامي بهلع اللحظة ليؤسس نصا بهذه الحفاوة الشعرية الشديدة التركيز.

التحدي لا يأتي بسل السيف ولعلعة الرصاص، بل بالإصرار على أن ينكأ الجروح فيحولها إلى منافذ يستشرف بها على المستقبل حين تكون جزءا من مواجده وتنام في رصيف ذاكرته المتأهبة دائما:

كلنا أتينا صامتين

وعندما فتحنا أفواهنا

اهتز ثم انطفأ المصباح

ترى من يتحمل مثل هذه المشقة حين يمد الشاعر بخيوط الوفاء للحظة ولادته التي اغرقت لحظات حياته لاحقا بأماني قد تعود سرابا، وقد تلامس رؤاه لتصبح واقعا محسوسا من التوجس والمفاجئات غير المحسوبة.

إن هذا التكثيف الشعري يحيل المتلقي إلى مخلوق فائق الإحساس ليجول في عوالم النص دون استئذان، لان الشاعر أصلا قد سلّمه دفة القيادة في أن يبحر حيث يشاء وكيف يريد.

هل لا زال الشعر ضروريا في هذا الزمن الرث الذي نعيشه ونتلظى من أشواكه ومآسيه؟ سؤال ملتبس ويحتاج الى كثير من التروي للإجابة

عنه لكثرة الاشتباكات التي اختلط بها الحابل بالنابل في زمن رث وموبوء ومبتلي بكل المساوئ الحياتية التي تزحم عيش الناس بشكل يومي.

يا خلوة التابوت
تمهّلي
فكلنا يموت

هذه السوداوية قد لا نجدها في حالات غير عراقية، ليصل الشاعر إلى مرفئه الأخير، مختزلا سنوات وأيام من سني حياته التي قد تكون بهية وقد تمر بحالات من الفرح والحزن، لكن قدر العراقي أن يتصالح مع الموت الذي يصبح في قاموسه طقسا يوميا وقدرا لا مناص منه قد يفاجئه دونما تحذير وقد يختزل كل مجساته لقبول لحظة الوداع الفاجع.

هذي ليست بدلته الخاكية
وهذا البسطال
وهذي الكتف
وهذا الوشم
وهذي الضرس الذهبية
وهذا الشعر الأشيب

هذي ليست لأخي
كان صبيا حين توادعنا في فجر الحرب

يا لها من كارثة تدمي الجوارح، من منا على قدر من الشجاعة والتماسك ليتحمل هذا المشهد الدرامي المؤلم حين يصل الحال بالناس إلى هذا الحد من العذاب لتتوزع النوائب في تفاصيل العائلة الواحدة.

وننسى الرصاص يمر إلى من يشاء
لم نعد نستحي عندما لا نموت
فنحزن ـ لحظة فتح التوابيت حتى تفوت
إنها الحرب فينا
وقد صفقت للسكوت الطويل
هنا بين أعيننا ولسان القتيل

طقس الموت هذا غالبا ما يكون حاضرا بقوة في جل النصوص الشعرية العراقية عموما، وهنا في هذا الديوان لها تناول من التكثيف والاختزال، لتنفرد بحالة سوداوية لا تعتيم فيها تجمع بين السخرية من هذا القدر اللعين وقبول واقع الحال الذي لا مفر منه حين يعود لصيقا في حياة الناس ولا يفرّق بين الأعمار والجنس ومرجعية المكان، بل

الكل ينبغي أن يكون مستعدا لحتفه ليداهمه في أية لحظة حيث يكون المرء.

كثيرا ما يبحث المتلقي عن جواب يحاول أن يهدّئ فزعه الدائم في عالم يعجّ بالموت والقتل والحروب وشراسة الإنسان بحق أخيه الإنسان، وتحول البشر إلى مخلوقات مجردة من المحبة، وباتت الوشائج بين البشر تحكمها تفاهات الحياة ورداءتها. ويبقي الشعر هو الملاذ الوحيد للفكاك من ربقة الشر والضغينة وأحقاد البشر بعضهم لبعض، وحين ألج ديوان الشاعر مصطفى عبد الله تداهمني أزاهير عطرة وعطور فوّاحة ونوارس قابعة في أعشاشها الدافئة، فالثم هذا وأداعب ذاك وأنا أعيش لحظة انتشاء فائق، ولكن سرعان ما تتحول لحظة المسرّة هذه إلى حنين يتفجر على حين غرّة لكثرة حالات الأسى والإحساس بالوحشة التي تحتشد في ديوانه هذا.

في نصه الرحيل، يدفعنا الشاعر أن نحبس أنفاسنا ونعصر همومنا لتصبح في قفة واحدة لنتساءل: لماذا هذا التشديد والتذكّر والتناول وحتى الإحساس بالمسرة والشاعر دائم التصالح مع الموت والرحيل والتعلق بالتراب؟

حين خرجتُ

أخفي عني الطين الناشفَ بين جيوبه

ثّم تقدم يسبقني...
حين خرجتُ
وكنت خفيفاً مثل الطير الناشف
أخفيتُ وراء الظهر حقيبة

لا أظن أن شاعرا شديد التعلق بثيمة الموت والتصدي له بروح المقتنع بأنه معرض للرحيل في أية لحظة، فيختار أجمل الحالات وأعذب اللحظات ليتواشج مع فكرة الرحيل التي اصبحت قدرا يترصده حتى اختطفه الموت هو ذاته في زهرة شبابه وقمة عطائه. إنها نبوءة يكتنفها الغموض وسر من أسرار الوجود الإنساني وهذا الإحساس الغريب بقرب الرحيل وترقبه، وكأنه ضيف قادم في أية لحظة. فحدثت الفاجعة.

إن فطنة الشاعر هنا، نواياه في أن يمنح القارئ عتبة مشوبة بالعاطفة الجيّاشة قبل أن يلج متون النص الشعري، ولعل المتلقي يمسح دمعة تكون قد انحدرت دون ارادته، ليتوحد مع القراءة ويشدّ رحاله في رحلة شيقة مغلفة بإحساس مرير مع الحنين.

وهنا ينبغي أن تشع عيوننا بإضاءة الشاعر للنص الذي يحمل عنوان المجموعة، وإلا عادت قراءتنا عبثا لما لها من الق خاص:

"الأجنبي الجميل"، العنوان الذي يشي بالعديد من التأويلات والإحالات والهموم الدامعة، وهو بحد ذاته صورة لعراقي يتوزع بين الغربة والتغريب والبعاد والحنين والشوق، حاملا قلبه في وعاء خاص كيلا يصله الإخفاق في التعلق بوطنه وترابه وناسه وذكرياته، مع احساسه بجمال روحه وفتنة وجوده، ليخلق ذلك الرابط الجميل بين المنفى والجمال، فالمنفى مصدر عذاب وحنين ومكابدة، والجمال إحساس خاص يدفع الشاعر لأن يبقى دائم الوفاء لكل تفاصيل وجوده، وهذا الربط الفاطن حالة من التوحد كم يحتاجها العراقي الهائم في أصقاع الكون، ليبقى متشبثا بالأمل، لأنه إن فقد الإحساس بعشق الوطن انتهى أن يتواصل مع الحياة والوضع الذي ربما سيكون طارئا، حينها سيكون أمام حساب عسير مع الذات الشاعرة:

تذكرت أني أتيتُ بدون فمي
وأني تركت لساني الطويل
مع الحبر... في قلمي
أنا الأجنبي تمنيت أن أعترض

ولكنني ما وجدتُ الكلام

إن جميع تصوص المجموعة هي مشاتل خرجت من احتدامات الشاعر في لحظات ليس من الهيّن أن يشعر بوطأتها إلا من يلامس وهجها وسطوتها واتساع مناخاتها وشساعة أحلام الشاعر في أن يوطّن النص في ذات القارئ الممعن في الندية، لاستكناه المحاذير التي أسس عليها الشاعر نصه خوفا من انزلاقات في المتن والرؤيا والإمساك بتلابيب المفردة الشعرية التي قد تشكل لوحدها نزوعا وصفيا يغني النص ويحيل التفاصيل إلى منابت يتحرك بين أريجها القارئ ولا يغادرها إلا وهو يتعكز على ثوابت تلك النصوص التي تتوارى معانيها مرة وتتجلي نوايا الشاعر مرة أخرى، ولكن بأساليب تعويمية يستحلي فيها القارئ المناكد وكأنه برعم غائر وسط هذه المشاتل الغضة.

يكرس الشاعر نصوص المجموعة بكاملها لمدن وأشخاص وأمكنة وذكريات وأسماء وذات محبطة وهائمة مع الوجد واليتم والمكابدة، تقتنص حالات بقيت غائرة في ذاته العاشقة لتلك الأرض وأولئك الناس الطيبين، في نزوع من التوحد في التناول النقي بتوليفات تزيح الكثير من الغموض الذي يتسم به النص الجديد ولا اسميه الحداثي، ولهذا الاختلاف وقته في التعرض له، فقط نؤكد هنا أن نصوص المجموعة تندرج في توصيفها بالدراما المتنوعة العرض والتناول، وهذا

الأمر ليس إخفاقا لدى الشاعر في بناء القصيدة بقدر ما هو لحظات من المعايشة الصادقة مع لحظة الكتابة، سيما إذا عرفنا ان النصوص مهداة لبشر منهم من مر في حياة الشاعر ومنهم من لا زال يستوطن وجدانه وإزاء كل هذه المخلوقات الندية التي ظلت تعمّق في ضمير الشاعر، هما وإحساسا غارقا في المعاناة، انه يريد أن يقدم لهؤلاء الناس جميلا كانوا قد أحالوه إلى وديعهم ومدللهم وابنهم البار، فليس من المعقول أن يوسم بالعقوق وهو لا يملك من رد الجميل غير بذرة الروح وينبوع المحبة ليقدمها لهؤلاء الرائعين وهو أمر فاطن في ذات الوقت حين يقلّد أحبته هذه الأوسمة والنياشين ويورّثهم اصدق ثمرات وجده فيتخلص من هم يراوده حتى أعتقته الهدايا من عبء المسؤولية فباتت النصوص كلها ملكا صرفا لأصحابها ولهم شأنهم في امتلاكها لتزين مدافن من رحل وبيوت من لا زال يجد في الشاعر ابنا بارا ومخلوقا نديا وحبيبا غارقا في الوفاء.

في نصه المهدى لأبيه، وهنا نشدد على أن المبدع يبقى لصيقا بمن يحب ومن يقدس، ووالده واحد ممن يظل مأسورا بهم:

أمسكتَ حياتَكَ بالمنجل،
وفتحتَ على الشجرِ اليابسِ ماءَ الجدول
في شمس القيظ،

مكشوفَ الرأسِ
أسرعتَ تغطي الشجرَ الغضّ
... أنظُرْ...!
يتأرجحُ عمرك في الحبل المشدود
ما بين الفمَ والدود...!
يا: عبد الله بن الملا حسين.

أية لحظات مرّة وكسيرة تلك التي داهمت الشاعر ليكتب هكذا كلمات كل واحدة منها تحمله إلى روض الروح المغادرة قسرا، لتترك وراءها نواح الأحبة وفقد الأعزة، إنه أبوه المكافح مثلما بقية الآباء العراقيين المتأرجحين طوال حياتهم منذ المهد حتى اللحد لتتوزع حياتهم ضيرا وقهرا، ما بين الفم والدود، النهايات الفاجعة، بقلوب متورمة وعيون تظل تذرف دما حتى الرمق الأخير.

حنين الشاعر لأمكنة الأصدقاء إنشداد وثيق لدفء تلك المزارات المقدسة لأنها ملاذ من يحب وكم يحن الشاعر إليها ليلثم عبق الساكنين في محاريبها.

ما بين الدرب الحار
و "الحوش" الحار

دهليز بارد
علّق فيه الأولاد مناجلهم
وتدلّت طاساتُ الماء

إنه ميس شعري فاتن يظل يرفرف عاليا فوق قامات شاخ بعضها وما زالت تنشد الغناء الجميل بمحبة وتعلق للطفولة الغضة، وأخرى تتجدد ولادة، لأن صفحات الخلق الأولى، والمدونة بمداد العشق والبراءة، لا يمكن ان تمحوها أعاصير الغضب الصفراء.

يلاحظ معي القارئ عمق الوشيجة المتجذرة في البوح وصدق المشاعر حين يجعل روحين في روح واحدة ويتداخل الإحساس الإنساني تحت خيمة واحدة لتحملهما غيمة عطشى للثم الأرض رغم شساعة المسافة بين الروحين.

لم ينس الشاعر أطفال العراق، نبتة الفرح المصادر ظلما ورعونة وفقدان الأحاسيس الإنسانية النبيلة، الأطفال الذين أنهكتهم الحروب والآفات والجوع فمد لهم طعامه الشهي لتشبع ولو في متاهات التوجع عاطفة وكلاما نديا، والشاعر لا يملك من أدوات الإطعام غير هذه، ليتمثل بصديقيه طفلين ينطان أمامه فيأخذه الفرح إلى مديات ذلك الوطن الجريح .... العراق

القمر يذهب كل يوم للسوق
ويشتري ملايين من أرغفة الخبز
ينثرها مساء على الفقراء
ـ هم أطفال مثلكم لكن سنواتهم أقل ـ

لا يحيد النص أبدا عن عمق الوفاء الذي يغدو سمة تشترك فيها النصوص جميعا، من فقد الأحبة إلى الاشتياق للقاء إلى الرثاء الدامع للذات والوطن والناس، إلى الحنين للأمكنة. فهي نصوص المودة المدججة بالوجع والأنين بامتياز لكل من مر في محطات الشاعر وترك بصماته الواضحة في حياته.

في نصه "الملّا"
تأتيه النسوة،
بديوك سود، وتراب من قبر صبي
بسلاسله المعقودة فوق الأرض، يحلّ السحر،
ويفتتح للدنيا الأبواب

اقتناص جميل لإحالات يومية لفكر تراجعي دائما "فلاش باك"، يتصدى له الشاعر بتفكه وروح مرحة ليذكّرنا نحن المتعايشين مع هكذا حنين دائم مع أبجدية التكوين الأول كيلا لا تضيع البوصلة ويبقى الإنشداد لها سيد اللحظة.

يتنامى شوق الشاعر لخيمته الظليلة والتي يهديها نصا موجعا وبمكابدات الولد اليتيم الذي فقد اعز مخلوقة بهية وهي أمه عندما يفيق من نومه وفرحة العيد تؤنس فراشه، حتى وهو في هذا العمر، لكنه لم يجد تلك المخلوقة التي اعتادت أن تصحيه بغنوة حنان ليبدأ عيده الجديد، لكنه عيد بدونها ما يشبه حالة جنائزية.

أمي:
عندما تستيقظين مبكرة كل يوم
يستعد العالم
وتتنفس الصخور

كيف له ان يلتقيها حتى وان كان لقاء واهما؟ لكنه يتواصل معها بنشيجه العارم وهو يخط بقلمه محبته ليرسلها إلى حيث تكون في أعلى عليين.

البراعم تتفتح
على رائحة فوطتك
وفي الخطوط التي حفرها على راحتيك
سخام الأواني والسنوات

يا لها من مكابدة وتذكّر جارح لأعز مخلوقة ندية، لم يمتلك من عبقها الندي غير الاستحضار لما فات، فتنتعش بداخله المواجد. من منا لا تدمع عيناه حين يتوحد الوجع بفقد خصب الأرض ومحجتنا البيضاء والندية دائما، إنها الأم العراقية النادرة الوفاء والصبر والحنان.
الشاعر مصطفى عبد الله يتحول إلى نورس وديع يحلق على الأمكنة والأحبة ويتوقف طويلا تحت خيمة أمه لتمنحه الحنان الذي يفتقده في غيابها دون أن ينسى أن يعطّر لحظته بمخاطبة من يحب تلك الأنثى التي تحيله فجأة إلى كائن هائم في الوجد لتخفف من إحساسه اليومي باليتم.
لا يمكن أن نغادر عالم الشاعر المبدع الفقيد مصطفى عبد الله دون أن نشيد وبقوة بما قدمه المبدع الشاعر عبد الكريم كاصد من جهد متميز، إنه تعبير عن وفاء ومحبة وفعل إنساني وأخلاقي لصديقه ورفيقه

الراحل الشاعر مصطفى عبد الله، ويقينا أنه عانى كثيرا لتجميع النصوص بسبب أنه لم يكن مقتنعا تماما بالطبعة الأولى الصادرة عن دار المدى مشكورة، ولعله كان يحتكم على نصوص أخرى ضمنها هذه المجموعة التي بين أيدينا.

يقول الشاعر عبد الكريم كاصد في تقديمه لديوان "الأجنبي الجميل":

"وجدت صعوبة بالغة حقا في جمع قصائد مصطفى، لاسيما أن نتاجه موزع بين عديد من المجلات والصحف بالإضافة الى صعوبة قراءة بعض المطبوع منه، وقد أُرسلت إليّ نسخه المصورة، لذلك رأيت أن مهمتي لن تنجز بالشكل المطلوب دون الاطلاع على النسخ الأصلية ومقارنة المتشابه منها، وتبيان ما امحى فيها من كلمات وأحرف، وما سهّل مهمتي هذه هو أن مصطفى خلّف وراءه ديوانين معدّين للطبع، مما مكنني من تحفص نتاجه بشكل أدق، وتتبع ما آلت اليه قصائده من هيأة أخيرة."

من هنا يتضح الجهد الكبير الذي بذله الشاعر عبد الكريم كاصد في اخراج هذه الاضمومة الشعرية لصوت شعري خسره المشهد العراقي الذي كان بالإمكان أن يضيف ويغني الكثير من التجدد والعافية للشعر العراقي، ولكن القدر كان أسرع وأقوى من الأماني.

للفقيد الغالي الذكر الطيب

إبراهيم الخياط

في ديوانه جمهورية البرتقال

حنين البدايات ومكابدات الراهن

حين تتعدد مسارب الكتابة الشعرية وتصل إلى مديات تعتمد على مرجعيات تؤسس لوشائج قوية مع ضمير الشاعر، يصل الشاعر في هذا المرفأ الشعري، إلى عالم أرحب في الإبداع والتراكم الفكري، تمكّنه من المسك بأدوات الكتابة والتعامل معها على أساس أنها محاريب مقدسة، ليحقق الشاعر لذة التواصل مع الذات الكاتبة بكل اشراقاتها، والقارئ المتطلع لصدق العطاء الشعري الذي يبحث عنه بشغف الراصد للجديد والمبهر، بعيدا عن راهن شعري يعج بالرتابة والطارئ الموغل في السطحية، ومما يزيد الالتباس في المشهد الشعري العراقي تحديدا، والعربي بشكل عام، أن هكذا وضع يجد له أنصارا

ومريدين، ليصبح حالة من الغبش الشعري، أو التهويم غير المفهوم، وهو ابتلاء يتناسل بشكل مخيف في العقود الأخيرة، ليظل الأصيل يقاتل بمعية شعراء نذروا مواهبهم لمواجهة هذا المسخ وازاحة المتسلق الذي يبيح لنفسه الخوض في معترك لا دراية له فيه.

حين نطالع ديوان الشاعر إبراهيم الخياط، ونحن مغيضين لما نقرأ هنا وهناك، تعيد قصائده ترتيب ذواتنا المرتبكة، ونلج جمهوريته الشعرية الباذخة، لنكتشف تجربة مغايرة للراهن الشعري، بمعجمية باهرة، وبدفق شعري ولغوي يسمو بنا حيث الفضاءات الفسيحة، من الكلمات والصور والتوظيفات والعودة للتراث لينهل منه بطريقة فاطنة، لا اسفاف ولا تفريط فيها، وكأننا أمام قامة شعرية ينبغي الاقتراب منها بحذر شديد، وكما يقول الناقد المتميز فاضل ثامر في إشارته عن الديوان، بأن (إبراهيم الخياط ... شاعر يمتلك صوتا متميزا بين أقرانه، شاعر يذكّرني بالسياب وسعدي يوسف، فهو يمتلك ناصية اللغة ويجعلها تتصدر التجربة الشعرية).

حين يضع الناقد فاضل ثامر، الشاعر إبراهيم الخياط بمصاف شاعرين كبيرين، كالسياب وسعدي يوسف، فإنه على دراية بأنه أمام قامة شعرية، وبموهبة لغوية وخيالات، ومرجعية تراثية كبيرة، نتبين ذلك من النصوص التي يحملها الديوان (جمهورية البرتقال):

إنه
قاب قتلين أو أدنى
فحق عليه القول
بعد أن فرهت أحلامه
ونحت به عن جزيل افتقاره... (كاسب كار) ص11

تتصاعد اللغة الشعرية بتناسق مبهر مع الصور والانتقالات وبفضاءات غنّاء، وكأننا حقا نجول على أرض جمهورية الشاعر الفسيحة والوارفة الظلال، بعبق مندّى برائحة الطل الذي يستجمع بهاءه من برتقاله الشهي، طعما وعافية وألقا.

في هذا المقطع الشعري الرافل بالمعنى، تتضح بشكل جلي نوايا الشاعر في البحث عن قارئ يقاسمه هذا الطبق الشعري الموضوع على بساط غابة برتقاله الشعرية العاج بالغرابة والتحدي، وكأني حين أقرأ هذا المقطع، أنني بإزاء مقامة خياطية أسوة بمقامة حريرية، وهي عبارة عن منمنمات مصاغة بحرفية العارف من أدواته، والغارف من تراثه، في نسيج شعري متراص، شكلا ومعنى.

ترى ـ أمن الضجة كل ما بي؟
فعند التقاء المساءات
صامتا أفردت بعضي

ورتّقت بعضي بالجلنار... (الضجة الصديقة) ص15

هو ذات الحدس الشعري حين يتحول بصدر الشاعر ذات السؤال الوجودي الكبير، ليتوزع على تفاصيل ذاته الكسيرة والمأخوذة بالمتاهات والضياع، ليحتكم على الصمت المريب، ينسج لجسده المنهك، إضاءات بغرائبية المنتكس والحائر من وجوده القلق:

أحرقت دمعي

(وهل كان دمعي غير ماء؟)... (الضجة الصديقة) ص15

يا له من ضياع وانكسار ومحنة، حين تتحول حياة الشاعر إلى مجرد ظلال تغيب، ما أن تغفو الشمس في مداراتها ويهيم هو بدمعه المشتعل بمائه.

الشاعر أول من يضحي وآخر من ينال العذاب، حين يوزع جسده شلوا شلوا وهو مكره، إلى مدارات من الفرح الطفولي الآسر، بلا مناكفات مع الآخرين، قد تفقده نقاءه الانساني، وشاعرنا ابراهيم الخياط، يتيه في كل هذه المدارات، تحت مسمى شاعر يطلق قلبه فراشات، سعيا لنيل لحظات عشق، شبيه بعشق البرتقال لضوعه، في نضارته وطعمه ورائحته الفواحة:

شاعرا أطلقت قلبي

وسميت عشقي برتقالا

أسكنت حرفي
حيث اختلاف الدروب (الضجة الصديقة) ص16/15
أليس هذا انحيازا واضحا للمكان الأول الذي نشأ وترعرع الشاعر فيه؟ وهو غض، هشيش، جسدا وتكوينا؟ ليجد نفسه من حيث لا يدري، مطوقا بهذا الأريج البرتقالي، وهذا لعمري منتهى الوفاء للبذرة الأولى، التي توسعت في رئة الشاعر، ليقوده قلبه المتيم، لبهاء البدايات، مأسورا بها رغم عوادي زمن لا يرحم، وهو ما لاقاه الشاعر من عسف وقهر، ليظل بذات الوشيجة الوفية لأمكنة البوح الأولى، وهو طفل هشيش كهشاشة الطير الوديع.
أنني أرى أن الشاعر ابراهيم الخياط وعاء شعري ينضح رذاذا لغويا يتناثر على متون المكان واللحظة والماضي من زمن مأسوف عليه، راهنا وماضٍ، وآخر قادم بسوداوية لا تسر عدوا ولا حبيبا.
وهذه مأساة توحّد العراقيين جميعا، فكم هي كبيرة وفاجعة محنة الشاعر إبراهيم الخياط، المنحاز بكل كيانه لمجتمع يئن تحت وطأة الخراب، ولا من سبيل للفكاك وهم يخرجون من محرقة ليتوجهون إلى أخرى، وهو الأكثر احساسا بحجم المرارة والضياع وفقدان الأمل:
بين الأسى
واستدارة النهر الذبيح

كانت خطاي

تنبئ بالجفاف

وتقرأ سورة الماء المدمّى... (جمهورية البرتقال) ص25

لا أظن أن شعبا بكل مكوناته عانى مثلما العراقيون بكل شرائحهم، وها هو شاعرنا الخياط بهذا الايلام وهذه اللغة الذبيحة:

أسى/ ذبيح/ جفاف/ مدمّى/

مفردات طاغية على مجمل النصوص، وهي تشي بحجم العذابات لشعب هذه الأرض، ليكون الشاعر لسان حال المعذبين، وليست له القدرة لأن يمسح دموع الأطفال، ويخفف من أنين الثكالى. لأنه ببساطة أمام خطوط حمراء وليس لديه غير التوجع والانكفاء.

انتكس القلب مرة

وانتكس النهر مرات

فلم يبق لقلبي سوى ظل أنثى

و لم يبق لنهرنا الشقي

سوى حثالة الأهل المتسربين... (جمهورية البرتقال) ص25

القلب هو النهر والنهر هو القلب، وهذه المعادلة قد تحيل الشاعر والقارئ معا إلى ركام من المواجد والعذابات، لأن الشاعر وفي ظل هذا الحصار الرهيب، يتوق لدفء الأنثى، فما أجمل هذه الصورة

الشعرية البليغة المعنى، لأن الشاعر حين بلغ مرحلة اليأس المطبق، ظل قلبه ينبض عشقا لظل أنثى، وأية أنثى تلك التي تنعش لحظات الشاعر وتبقي خيوطا من الأمل، هي الوحيدة التي يظل متشبثا بها، لئلا يضيع كل شيء وتصفعه آثام السيئين، ليتحول إلى حالة محو لا خلاص منها، فهو ينقلنا من محنة إلى أخرى، ونحن معه في ذات المركب بكوابحه التي تنزع القلوب وتغم النفس:

انتكاسة قلب/ وانتكاسات نهر/ وظل أنثي، قد يفي بنوازع الشاعر الانسانية/ وما تبقى للنهر، حثالة من الأهل، وأي أهل؟ للقارئ الكلمة الفصل، أليس هذه مشاكسة للقارئ من شاعر يفنّن الكلمة، ليجعلها حمالة أوجه.

للشاعر الخياط معايير صارمة في صياغة الجملة الشعرية، بثوابت لغوية ليست بلا روح، بل تعج بالحركة والصور بإضاءات، مرة تخبو في ظلال الكلمة، ومرة تنير لحظة القراءة بسطوع باهر، من هنا يأتي المنهل الشعري البيّن، ليسموا بلحظات قراءة فاتنة، حتى وإن لم تكن للقارئ سابق معرفة بمنتج النص، ليصبح النص بوابة اللقاء ونافذة الأمل، وتحصل المصالحة مع الذات القارئة.

ساحت بحربين زئبقة أيامي

وإذ ينام الوطن

كان سريري الموحش ملقيا
أبكي عليه نثيثا... (مدمى الشباب) ص35
يا لها من مفردات تدمي القلب، حين يكون مصير البشر مثلما لعبة بيد طفل، لا يتحكم بها ولا بمصيرها، لتكون عرضة للعبث الطفولي، وهكذا هو مصير الشاعر، حين يكون لسان حال المنتكسين الموزعين بين رماد الحروب ونزيف الخراب، ليكون البارود وحده من يترصده ولا سبيل عنده غير البكاء.
عشرون عاما وأنا أبكي
عشرون عاما وأنا أغزل رئة ثالثة
فالأولى للقطران
والثانية للشهيق
وهذي الشفيفة للبارود الجميل... (مدمى الشباب) ص35
حتى القتل والحروب والرصاص والبارود، عادت لها أوصاف خارجة عن المألوف، فمتى كان القتل رحمة؟ والرصاص موسيقى؟ والبارود جميلا؟ هذا هو قدر العراقيين، إذ عادوا بلا مراسم، ولا مرايا، ولا عشق شفيف للحياة، وكل ما يحتكمون عليه، هو هذا الواقع الدامي، والنزيف الذي لا يتوقف. إزاء ذلك يبتكر الشاعر رئة ثالثة بعد أن

فقد القدرة في التحكم في رئتيه، لتكون الثالثة شفيفة، فيملأها برائحة البارود، وهو الهواء الذي يستنشقه أبناء هذا الوطن الذبيح.

إنه انحياز انساني وأخلاقي، هذا الذي يبوح به الشاعر، ويجسّده فعلا وقولا، كي يشارك أبناء جلدته قدرهم الذي عاد بأمره المخبولين وغير الأسوياء من البشر العتاة.

عيناك خردلتان

والحرائق طائرات

فهل جادك الغيث

عندما الموت همي... (واحدة لا تكفي) ص41

هذا التوظيف المستوحى من شاعرين كبيرين، كالسياب ولسان الدين بن الخطيب، هو مقاربة شعرية حافلة بالمعاني لإسقاطها على واقع الشاعر والأذى الذي يكابده، فيتحول غزل السياب لأرض وماء وتفاصيل وطن، إلى حصار قاتل ولعنة تعج بالأسى، فكيف لعينين خردلتين تعودان إلى حرائق طائرات؟

أما لدى لسان الدين بن الخطيب، فيتحول رذاذ الحياة عند الشاعر الخياط إلى موت يسقط كما الحمم القاتلة، بدل أن يكون مصدر رخاء يعم الأرض والناس.

في نادي الببغاوات استراحت

كلماتي قليلا ثم اعترضت كاحتجاج
الديكة على ليل الرفيق...(نادي الببغاوات) ص57

هذا التداخل المرغوب في الشعر، بمثابة كولاج شعري مرتّب التوظيف بألوان لغوية متناسقة: ببغاوات/ ديكة/ فجر دستوري/ قش باذخ/ الوسن.

إن القارئ النبه يدرك الربط الفاطن بين كل هذه الكلمات، لتشكل لوحة معبرة، بستار مخملي يخفي الكثير من النبض الخفيض، بغرائبية التفجّر في لحظات باذخة، وكأني بالشاعر تسكنه تفاصيل أمكنة قد لا نحسها كما هو، وهو كالطفل الغض الذي لا يريد أن ينسى غير المألوف في مرحلة طفولته الآسرة.

في نصه زينب يقول الشاعر:

ولا تدري
لمن تشي
بالزغاريد المحبوسة في حناجر الثكنات
وهي ترى
الشارع الممتد
من أقصى الضاد إلى أقصاه
ضاجا على الاسفلت الأخرس

كخشب الكراسي العربية... (زينب) ص64

لهذا النص سطوة خاصة ونكهة متفردة، فالزغردة محبوسة في حناجر الثكنات، فلا هي تعبير عن فرح الانتصار، ولا هي خيبة الهزيمة، إنما هما الاثنان معا، كمن تريد أن تعلن عن مسرتها وهي تبكي، لأن شارع الضاد (العربي) يضج بالصمت المريب على اسفلته الأخرس.

يظل الحنين في وجدان الشاعر للبدايات الأولى، هاجسه الذي يلازمه في حله وترحاله، لأمكنة وذكريات وبدايات وحراك طفولي لصيق بحياة الشاعر الوفي لنشوة المراحل الأولى في حياته، والوشائج التي ما بهتت يوما بداخله، لتنتفض حنينا ووجدا وإحساسا باليتم والضياع احيانا لتلك المحطات، إنها مدينته بعقوبة، محج الشاعر حتى وإن بعد عنها جسدا، تبقى تستوطنه وجدا دائم الحنين.

وقفت على بابها الحميم، لأقيس ارتفاع
الدمع في جزرة نهرها المعلول فلطالما
شيعتني هذه الثكلى الطروب ـ التي أسميتها
مدينتي وسمتني جوابّها المقيم ـ شيعتني فوق مشابك
عرباتها الأجيرة نعشا مزدهرا بالألوان
المستطيلة... (بعقوبة) ص127

تسح القصيدة الخياطية على سطح هلامي شفيف يستعصي على القارئ الامساك بتلابيبها أحيانا، فنوايا الشاعر تجعل من القصيدة قنطرة تؤسس لوشائج يصعب التفريط بها والعبور معها للضفة الأخرى، سيما مع قارئ يبحث عن فضاءات أرحب، تعج بالحركة والحياة وتتراقص مفرداتها وكأنها نجوم تتلألأ، لتضيء لحظات من المؤانسة لامتلاك ناصية الذات المنفلتة عن مساراتها الباحثة عن الجديد والممتع.

على قلوبهم أقفالها

وعلى قلبك الرصاص

فهذا الخزون الدقاق

ابتلع من المسكوت عنه آبارا... (على حائط حنا السكران) ص133

إنه مخزون لغوي يشي بقدرة الشاعر على انتاج نص بهذه المتانة اللغوية، برحلة فاتنة، تحيلك إلى زمن الشعر البهي، والاحساس بلذة القراءة وسطوة الشاعر وتحديه، فتعتري العلاقة بين الشاعر وقارئه دهشة قد تتشابك الاحتمالات فيها لفك طلاسمها؟

يقول الشاعر:

شريكين كنا

وكأن كل البرايا ضداد

شريكين بلا ليل
فيغمرنا من فجر الحروب
سواد
شريكين ولا منية لنا
سوى دار... (تفعيلة الخذلان) ص141

الاحساس بالمرارة والضياع والموت المؤجل مفردات لقاموس حياة العراقيين، بعد أن انتزع منهم الطغاة فواصل الفرح والمسرات والحياة البعيدة عن الخوف، حتى استكثر عليهم القتلة أن يحتكموا على ملاذ يأويهم من لفحة القهر اليومي.

وحتى وهو في هذه الغمة العالقة في تلابيب الوجود الانساني، ينزع الشاعر إبراهيم الخياط للبحث عن دفء أنثاه، قد لا يتحقق في هذا الكساد العاطفي الذي أخذ يزحف لحياة الناس، لأنه، كما أبناء جلدته، مطوق بلعنة الحروب، وصيغ الفتك التي ما مرت على بشر غير العراقيين.

فلا فائدة من حياة عند الشاعر، إذا لم تتألق فيها امرأة وتشعلها أنثى كما يرسمها هو في مخيلته وأحاسيسه بغليانها الدائم.

يعز علينا أن نغادر هذا البذخ الشعري لجمهورية الشاعر ابراهيم الخياط البرتقالية الأريج والطعم، علّنا نلتقي قريبا في ضيافة منجز جديد للشاعر البهي.

قراءة في ديوان خالد خشان

قصائد مستعملة

خالد خشان صوت شعري أخاذ ومتفرد، ذو بصيرة شعرية، ودراية فاطنة بكتابة النص الشعري الحديث، تعرّفت على تجربته ومن خلالها على وداعته وأدبه الجم من خلال مراسلات كان هو المبادر، فظننت في البداية أنه أحد تلامذتي حين كنت مدرسا في ثانوية المجر الكبير لتدريس اللغة الانجليزية اواسط السبعينات، حيث كانت تلك المؤسسة تعج بالمواهب الشابة وفي شتى أجناس الابداع، بسبب لغة الاحترام الفائقة في خطاباته، ولكوننا الشاعر قحطان كبيص المندوي، استاذ اللغة الانجليزية والذي هاجر لأمريكا لتكملة دراسته العليا، وأنا، في حوار دائم مع التلاميذ حول الهم الإبداعي، وتأسيس ورشات عمل في الكتابة، فكان من بينهم الشعراء، وكتاب القصة، والمهتمين بالمسرح،

لكنني تبينت لاحقا أنه من سكنة مدينة الشطرة في ذي قار الغالية، ومتابع جيد لما أكتب، ومن خطاباته الجميلة أحسست بأنه يرغب في تكليفي بترجمة بعض نصوصه الى اللغة الانجليزية، وهذا واضح من الاهداء على ديوانه (قصائد مستعملة) الذي ارسله لي في المغرب، وهذا ما سأشرع به قريبا*.

كنت قد قرأت للشاعر خالد خشان قصائد في طريق الشعب، وأبهرتني لغته وصوره الشعرية، وما أن وصلني ديوانه، قصائد مستعملة، دفعني فضول الولوج للنصوص لاكتشاف تلك الغرائبية الآسرة، والتوظيفات اللغوية الفاتنة، بندية مبدع يقتحم منذ الوهلة الأولى عوالم القارئ المواظب واشراكه في دهاليز النص ومداعباته، الأمر الذي يستوجب إيلاء هذه التجربة ما تستحق من اهتمام، لأننا بأمس الحاجة لهكذا نصوص تؤثث مشهد القراءة بشغفها لتفكيك النص، لغة، وتخييلا، وصورا شعرية، بمسارات وأنساق لغوية ليّنة التوظيف، تتسيد فضاء القصيدة بتمكن لافت، تنم عن موهبة ودراية متأتية من دربة غائرة في الرصانة الشعرية، وهي إضافة جديدة وتجربة ثرية تضاف لتجارب سابقة ومحايثة لشعراء شباب نعتز ونحن على بعد آلاف الأميال، بمتابعتها ورصدها والتفاخر بها، لأنها تشكل رفدا وغنى للمشهد الشعري العراقي الذي نعتز بمنجزه أيما اعتزاز، سيما أننا

أمام محاولات موتورة لإقصاء الإبداع العراقي بشكل متعمد من لدن سدنة ثقافة عرب، يحاولون تسييّس الإبداع العراقي وإسقاط مناوراتهم الخبيثة على ما يحدث الآن في العراق من فوضى سياسية، خدمة ووفاء لسيدهم الصنم، الواهب العطاء من المال العراقي بشراء الذمم والضمائر، فهناك خفافيش ثقافة، نتابع ونقرأ لهم، يترصدون المنجز العراقي بكل أجناسه الابداعية والفنية والثقافية ومحاولة تسويفه، وهذه بحق طامة تمثل سمة الراهن الثقافي العربي بكل مداهناته الفضة، لنبقى نحن المرتبطين بهذا العطاء العراقي الذي يتصاعد ألقه يوما بعد آخر، كونه يعتبر إشراقة حقيقية لإزاحة الرث والطارئ، إذا ما قورن ببقية التجارب على امتداد الوطن العربي وما نقرأ من تجارب لشعراء شباب، تعتبر جل نصوصهم محاكاة ومحاباة مع تجارب لشعراء رواد، عراقيين وعربا، حتى أننا نشعر بأن ظاهرة القرصنة واضحة في تلك التجارب، لغة وتوظيفا وهم يلاحقون بنصوصهم تلك التجارب لتشكل ظلا فاضحا في جسد القصيدة متنا ولغة، ومع ذلك لا أحد يتجرأ للتنبه لهذه الظاهرة الوقحة، حتى أنني سمعت أحد الشعراء الشباب العرب وهو يقول بصريح العبارة، بأنه حين يريد كتابة قصيدة، يقرأ نصا شعريا لشاعر معروف منبهر بتجربته، ومن رحم

ذلك النص يكتب نصه الذي لا يعدو كونه قرصنة وسرقة فاضحة تستوجب الرفض والإدانة والتشهير كذلك.

هنا تأتي تجربة الشاعر خالد الخشان متميزة بعوالم تتعلق بمرجعياته هو، دون أن نلاحظ تأثيرا لأية تجربة أخرى، ومن الطبيعي أن يظل تأثير الرواد حافزا للكتابة حتى وإن ظهرت هنا وهناك نقاط التقاء تكون مبررة وطبيعية. لكنني أجد شخصيا نفسي أمام تجربة تستحق التنبه لها لألقها وبهائها.

الديوان من الحجم المتوسط من 50 صفحة، يضم 13 قصيدة، كلها بمثابة هروب من المتاهة التي كانت تحاصر الشاعر، والمتنفس الجديد الذي ملأ رئتيه بهواء نقي، ليفتح منافذ جديدة، ويتنسم حرية التحرك في فضاء خال من ملاحقات الطاغية، وعيونه التي تترصد كل شادة وفادة، ليبقى الأمل شاخصا في ضميره ووجدانه، محل الانكسارات والخيبات اليومية، التي طالت حياة المبدع وألجمته طويلا، لكن فرحة الشاعر بما استجد، تظل حسيرة، والإشراقات آخذة في الذبول، بعد أن راهن المبدع على الحياة المتحررة من سطوة القتلة، ليكشف زيف القادم الجديد، وتظل ذات الدوامة من ضبابية الوضع، قدرا وخيبات متلاحقة، لنشترك جميعا في ذات الهم من الاحباطات.

في نصه الأول الذي يؤثثه خمسة عشر مقطعا قصيرا تحت عنوان (يوم عائلي) يقول فيه:

اكتشفت اليوم
أن الزوجة خارج
الثالوث المقدس
وا أسفاه على ذلك...

جميل أن ينصف الشاعر المخلوقة الندية ليفتتح الشاعر ديوانه ببث لوعته وأسفه، بخروج أنثاه من دائرة الثالوث المقدس لتتشح باللا مقدس، وتبتعد عن كينونتها التي صادرها الخائبون، لتتحمل بمفردها ذلك السقوط الأبدي، وكأنها هي من ارتكبت إثم الكون برمته.

طوفي حول روحي
وتشبّثي بي
وباركيني
فأنا ما زلت أبحث
عن طرف خيط
في صنارة الله... (يوم عائلي ص7)

النصوص بمجملها هي بوح الشاعر لأنثاه، أماً أو أختا أو حبيبة، لأنها نافذة الخلاص من ربقة الراهن الشقي، والتشبث ببريق الأنِثى، ونفَسها، طريقه لامتلاك ذاته المشروخة ليتحرر من ضنك الانتظار.

تتكثف لغة الشاعر الصوفية للبحث عن محراب التوحد مع الذات بمكابداتها والمها الممض، يدعو من خلالها امرأته للتشبث بالمقدس، لتمارس طقوسها الندية وتقترب من الله، عبر ذلك الخيط الرابط بين توأم روحها وبينها.

تركت قامتك

تغادرني بعيدا

بعيدا بلا نجم

سوى الظل... (يوم عائلي ص12)

بلا بوصلات يفك الشاعر عقدة حيرته لتسري مع هباء الحسرات بطريق لا ضوء فيها غير عتمة ظل حبيبته...

في نصه الثاني المهدى للشاعر الراحل عقيل علي، أجدني شديد التوجس والرهبة، حين أتذكّر حياة ذلك الشاعر المتشرد، وأشارك الشاعر خالد خشان، بحميمية العشق الإنساني، وهو يمد وشيجة من الهموم الانسانية الندية، باعتبار الرابطة القوية مع الشاعر الراحل وركام الحسرات لرحيله التراجيدي وحياته البوهيمية المؤلمة.

لنا صرّة من الحزن
نسميها قصائد... حزن يمتد
من ضلوع كلكامش الى مرافئ القيامة
فنحن أصدقاء الشتائم
ببغاوات التنظير
أدعياء القصيدة... (عقيل علي ص15)

كلمات توخز الروح وتكثف الألم، وهو يرثي حاله من خلال رثائه برحيل عقيل علي، فيتوحد الشاعر بمشتركات وهموم مع ذلك الشاعر الشرّيد، قديس الأرصفة الضال، لترحل برحيله كل أحلامه وآماله المنخورة، ومحطات حياته التي ما عرفت هدأة أو قرار، الشاعر هنا يحس بهول الفجيعة ليخاصم القدر اللعين، فيمنح الشاعر هالة من التقديس لذلك الشاعر الصعلوك، طريد الوطن والحياة...

وأنت ترتقي سلالم بياضك العالي
نبيا وحيدا متسكعا بلا حاشية
تحيطك الأسمال...

هكذا هم الشعراء المشردون، دائما يتأبطون عذاباتهم ووداعتهم حيثما كانوا، بأسمالهم الرثة، وعذاباتهم، ولكن بنقائهم وطيبتهم، من أمثال الرائعين: عبد الأمير الحصيري، وحسين مردان، وكزار حنتوش

وغيرهم، شعراء صعاليك وهائمون، لكنهم يرحلون بغتة متلفعين بألق الملائكة...

اننا مهما حوصرنا من ثقافة الاستنساخ، لا نصل حيث طهارة عقيل علي وروحه الندية، شأن من رفض الحياة الماسخة والباهتة بكل انبهارها الأجوف، لأن البقاء للأسمى، قيما ونقاء وعطاء عفيفا وطاهرا.

ما أحوجنا لهذه الأصوات الشعرية التي ترتّق همومنا ولو لحين، بصدق الكلمات ومعانيها الرقيقة والعابقة...

في نصه الذي يحمل عنوان المجموعة (قصائد مستعملة)، يعيد الشاعر مشهد مخاض مريم وخوفها من ولادة يظنها الآخرون غير شرعية، فيطمئنها الإله بألا تخاف، فيقتنص الشاعر خالد خشان هذا المشهد ليستعين بالآية الكريمة كما يراها هو:

هزي اليك بنياط القلب
تتساقط عليك
أعقاب سكائر
وقناني خمر فارغة
وقصائد مستعملة
وحماقات

وقُبلا باهتة

لامرأة

غادرت قبل مجيئك... (قصائد مستعملة ص 39)

هذا العالم السريالي، يخلق عالما لذيذا من البهجة والصفاء المرسوم على بياض الألق وحسب...

موغلا هكذا دائما

املأ قواريري بنهارات لا كما تمنيتها

أدحرج ذنوبي الباسلة

عائما ممددا فوق ظهور القنافذ...

هكذا هي شجاعة الشاعر المستلب بعالمه المتحرك باتجاهات مغايرة للمألوف، فنضرب أخماسا بأسداس لنواياه ومداهناته، إنه فطن ومراوغ حد التحدي بلا أسلحة ولا ذخيرة، سوى قاموسه اللغوي المغاير للمألوف بغرائبية ممتعة، وقلبه الذي يخفق ببياض الوجود، ممتلئ بحمى الاكتشاف، وصولا لبر الأمان، الذي يبقى عصي المنال، نشعر بأسى ونحن نغادر متون النصوص، علّنا نمسك بفتوحات شعرية جديدة، أظن أن الشاعر خالد خشان أهلا بإنجازها باهرة وغنية...

فتحية لهذا الصوت الشعري المائز والموهوب...

الشاعر سعيد الوائلي يبقي قمره مضيئا رغم هسيس النار الصفراء (قراءة لنصوص الشاعر سعيد الوائلي)

أجد نفسي وأنا التقط عنوان الديوان الذي اقتبست منه النصوص (لا... لن يحترق القمر) والذي يسعى الشاعر سعيد الوائلي إلى إصداره وهو المهيأ طباعة وإخراجا وغلافا جميلا من تصميم الفنان المبدع الدكتور مصدق الحبيب. أنني أمام زحمة نصوص متفاوتة الطول والنفس الشعري، حيث تبدأ بالألم الممض وتنتهي بالمكابدة المرة وبين هذه وتلك من الانتقالات، يرحل الشاعر في متاهات الوجد الإنساني بمعاناة وطن وانين ناس وخراب ارض، نحسها جميعا ترتبط بوشائج متداخلة ومنصهرة بحميمية نادرة لتشكل توليفة لنصوص شاعر لا يملك القارئ إلا ان ينحني انبهارا وعشقا وأيضا تواشجا وجدانيا في ذات الألم، ليرحلا معا، القارئ والشاعر، على جمر العذابات التي

توحدهم، ليمسكوا بتلابيب الأمل المتبقي لهما ويفضحا عشقا نادرا في صدقه، وحين افتح عيني بعد إغماضة لذيذة على جرس الكلمات الباهرة بتلويناتها الغارقة في زحمة الألوان، أبعد تماما ذلك اللون الرمادي الذي غالبا ما تتشح به النصوص حين تتحول لحظة القراءة العاشقة إلى ركامات من الأحاسيس والوجد والغياب من لحظة المحسوس إلى حيث أمكنة وذكريات، أراد لها الشاعر أن تكون حالة استفزاز حقيقي للقارئ الذي يحيل القراءة إلى حالة إبداعية تضاف إلى جهد الشاعر في إخراج هكذا نصوص موجعة.

إن كتابة النص لدى الشاعر سعيد الوائلي مكون متعدد البناءات ويخضع لاحتمالات التأويل لامتلاك المفردة أوجه تقبل القراءات باحتمالات مختلفة بحيث يصبح انتقاء المفردة الشعرية ضربا من المغامرة غير محسوبة النتائج إن لم تصدر من شاعر يعرف مرجعياته وإحالاته الشعرية والسوسيولوجية، بتراكيب تخضع في أحايين كثيرة إلى ذات الشاعر المغرقة في المحلية وهذه سمة تحسب للشاعر بامتياز، ذلك أن الشاعر يصبح صانعا ماهرا حين يوظف تقنياته غير البعيدة عن مكوناته الأساسية، ونقصد بها هنا، انشداد اللحظة الشعرية التي تتوالد عندها القصيدة إلى حيث ينتمي ويفكر بتفاعلات وجدانية تنتمي إلى الأرض والتاريخ والأفراد، وقبل هذا وذاك الذكريات الغائرة في وجدان

الشاعر وهي الأساس حين تتحول القصيدة إلى مرجل من المشاعر تمكن المبدع من التقاط المفردة في حالة نادرة من التوحد، حالة مغرقة في الوجد والإحساس المطلوبين حين نريد نصا صادقا بانتمائه ومكوناته ورؤاه.

إن استحواذ لحظة الكتابة الشعرية والتي اتفق العارفون بفن هذه الصنعة على تسميتها بالإشراقة الأولى وهي حالة صوفية تضفي على النص قدسية بادراك خاص وليس بالهين على المبدع الحقيقي لحظة تمرغه للإمساك بتلابيب النص.

افتتح قراءتي العاشقة لنصوص الشاعر سعيد الوائلي باستحضار ما كتبه الناقد الكبير عدنان الظاهر من اضاءات لهذه النصوص قد تكون دليلا يعينني على تلمس النص حيث يقول:(سعيد الوائلي شاعر ملتبس بجغرافية وهموم العراق ومتسربل بما يُسفح من دماء العراقيين الأبرياء صباح مساء)

هنا يضع الناقد عدنان الظاهر يده على أول الجرح حين يسلط الضوء على نصوص الشاعر ليقدم وبذكاء القارئ العارف بتفاصيل النص وعلاقته بالمبدع كونه نتاج اعتمالات إنسانية هي صيغ قد تكون في أعماق الشاعر لتشكل متراسا يحمي المبدع من تلوينات غير مقصودة أحيانا ولكنها تبقى شذرات جميلة وفاطنة لناقد فكك النصوص

وأحالها إلى مكوناتها الأساسية قبل أن تصبح توليفة إبداعية لشاعر يسعى لان يبتعد عن الهذيانات الطاغية في كتابات شائنة ليقدم عصارة جهد تمرد وتكابر على العادي ليصيغ نصا بذائقة متفردة وبإحالات معبرة يغلفها النشيج الممض وتستبطن هنهنات لعذاب إنساني خافت يوشي بعلاقة الشاعر القوية لتواشجه مع نصه الذي هو في الحقيقة مكابدة لمبدع مقهور لا يملك غير الإفصاح عبر نصوصه التي ترحل به في تضاريس وعرة في الكتابة النصية يحيلها الشاعر إلى صراخ منكفئ على ذاته ويختزنها في أعماقه المنكسرة التي تطغى بشكل جلي على جل نصوص الديوان.

تطالعنا نصوص بغرابتها ولكن بحميميتها حتى أنك تلج متون النص عبر عنوانه وحسب لان الشاعر يسعى لان يؤسس في ولادة النص على العنوان المعبر والذي يتسم بعمقه وصدقه ومباشرته أحيانا، حيث لا مهرب للشاعر في كونه يطلق العنان لمخيلته وبتوق غامر ويتحرك في مساحة النص مستمدا صوره الشعرية الفائقة الدلالة من ذات العنوان الذي كثيرا ما يقود النص إلى رحلة من حيث بدايته لينهيه بذات الفكرة التي عنون فيها نصه.

نلتقي في ديوان الشاعر سعيد الوائلي في نصه الأول الذي اسماه: (أنا وأنت)، هنا يفرض الشاعر إيقاعا متناغما من مفردتين تمثلان العلاقة

التي غالبا ما يكون للشاعر حضور كبير وجلي فيها. (أنا) هي ذات الشاعر التي يفتح من خلالها المنافذ على سر وجوده كيانا إنسانيا له من العلائق مع التاريخ والأرض والبشر والوجدان الق خاص، دائم الاجتراح ولا غرو أن يفتتح الديوان بنصوص عن فاجعة الطف واستشهاد الحسين (ع) وارض كربلاء وما تمثله هذه الفاجعة من شجن خاص وعميق لدى العراقيين بشكل عام وعلى الشعراء المبدعين بشكلها الخاص جدا. هذه الثلاثية الموجعة التي تحفر عميقا في وجدان الفرد العراقي المرتبط بوجد حارق لتلك الأرض المقدسة:

قلبك الشهي
مضرج منذ الأزل
بدوي العاصفة
جناحاك
شعشعة الصباح
وراية مئذنة ساحرة
بركة ضوئك الأحمر
شجيرة صبرك

بهذا الاستهلال ينكأ الشاعر سعيد الوائلي جراح القارئ ليشاركه ذات الألم بدلالات تحيل المفردات إلى عالم متحرك من الصور الغائرة

في الفجيعة العراقية المسكونة بحياة مليئة بالأنين والخراب والفقد الدائم، سلواهم أن يغادروا عبر غيمة حزينة إلى حيث سقط الحسين مضرجا بدمه الطاهر ليعطي للشهادة قدسية يتنسم منها المفجوع العراقي من حادثة الطف لتمنح القارئ شغفا صوفيا يخفف ولو لحين من وطأة الألم الفاجع.

فقلب الحسين حين كان يخفق بالشهادة وهو يعلم ما ستؤول إليه النهاية (شهيا) ويلاحظ القارئ فطنة الشاعر في اختيار هذه المفردة لتوصيف قلب الحسين مجازيا ذلك القلب الزكي العامر بالمحبة والإيمان والشهادة، حتى وهو ينتزع من مكمنه من اجل المبادئ الإنسانية السامية التي تتعدى ما هو ديني، حيث لم يضرج لحظتها بسيوف بني أمية، لكنه كان مختوما بالشهادة ومنذورا للفداء منذ الأزل.

إنها العاصفة الهوجاء والرعونة في أبشع تجلياتها، أن تدعي أنها ضرجت قلب الحسين الذي هو مضرج أصلا منذ عرفت البشرية معنى الشهادة من اجل المبادئ المقدسة، فلا غرابة أن تكون النهاية مرصوفة في لوح الخلق الإنساني.

الشاعر هنا يصف الحسين بالطائر الملائكي حين يرفرف جناحاه مع شعشعة الصباح ليحلق بعيدا عن الحياة الفانية إلى حيث الخلود السرمدي المقدس.

والشاعر الوائلي أسس نصه على بنائية شعرية متينة هي خليط من تركيبة قد تبدو متنافرة لكنها في الصياغة وحدة واحدة: قلب مضرج+ عاصفة مدوية+ جناحان مشعشعان+بركة ضوء+ شجيرة صبر.

كذلك وظف الشاعر كلمة (مئذنة) ترميزا جمعيا يتجاوز الذات إلى مديات ابعد للبحث عن الإيمان الحق والتقرب إلى صوت المنادي لجموع المؤمنين ليلوذوا بدفء العقيدة وظلال المئذنة، هنا تعني الإيمان بالمطلق.

هل أن دم الحسين كدماء البشر العاديين؟ الشاعر هنا يلتقط هذه الدماء النافرة لا كسائل احمر مساح على تراب اجرد، إنما هو بركة ضوء تتشح بلونها الأحمر لتكون بوصلة للباحثين عن دروس الشهادة وهدفا للخلود، لتنغرس عميقا وتتجذر في الأرض لتنبت شجيرة صبر، كأن الحسين يعرف أنها سر عناده من اجل إرساء قيم الحق وفروض الإيمان. فتستحضرني قولته المباركة التي عادت وساما لشهداء الحق السالكين على ذات الدرب: (هيهات منا الذلة).

في نصه الثاني (الكهف) يقول الشاعر:

يقلب أرشيف الطين

يلم ضوء المكان

وحرارة الطيف

يشد الرحال من جديد

ستخدم الشاعر لغة الغائب ليشرك القارئ في بلواه ووجده، وهذا نزوع ذكي ليدع الاثنين قارئا ومبدعا للغور في متون النص الذي أعطاه عنوانا يتسم بالعزلة والخوف والقداسة والتعبد والانتماء والوحدة والتوحد مع الذات، كلها إحالات لمفردة (الكهف) عنوان النص.

وهو وفي تعبده الصوفي في كهفه لا ينسى انتماءه لأرض السواد حين يتذكر الرقيم البابلي الذي هو في الحقيقة أرشيف من الطين يدون لأعظم الحضارات ولأبهى جنس بشري.

ولكون الشاعر يحمل همه ليرتحل، يتواشج في نصه مع كلكامش، حين لملم ضوئه في أوروك بحرارة الباحث عن الخلود، ليشد الرحال ثانية بحثا عن العشبة الأمل.

إن الشاعر سعيد الوائلي يمد لنا خيوطه لينسج بخفوت ووداعة عشقه لتفاصيل وجوده الآدمي بإحساس الشاعر المنكسر ويحملنا مسؤولية الخروج بمشاركته ذات الأنين وعمق الرؤيا.

الانتقالات المتعددة ذات الوجوه المختلفة لعراقي يعشق وطنه حد الجنون ليختار حكاية السندباد تتصدر عنوان نصه الآخر:

لصيق بالعراقي
حكاية وتراثا
وترحالا أبديا

لا يحتاج القارئ لجهد كبير في فهم ما يروم الشاعر قوله، لأنه أراد آن يبث المواجد في نفس العراقي الذي تبعثر جسدا وأرضا، وعاد الرحيل ديدنه وملاذه للخلاص، لكنه ورغم منافيه البعيدة عن أرضه وأهله، ظل يتأبط ألمه وأوجاعه ليبقى لصيقا بكل تفاصيل الوطن والتاريخ والتراث رغم ترحاله الأبدي، كسندباد عصره الجديد وليست له يد فيما يحدث.

(هذيانات ما بعد منتصف الليل) النص الموالي للشاعر سعيد الوائلي:

في هذه المملكة
سحاب الليل الثقيل
بحيرة مقدسة
وريح سليمان
لحن جنائزي

غالبا ما يختلي الشاعر المسكون بعشق الأرض البكر تلك التي فتح منافذه الأولى لتكون بوابته إلى العالم الآخر بامتداداته الروحية والمكانية ليتوحد مع لحظات الوجد الغامر حتى وان كان توحدا يداعب مخيلة

الشاعر وحسب، وغالبا ما يحدث ذلك التداخل الذي يغني حالة الالق الإنساني ليبدأ سيل الكلمات من أعماق الشاعر المبدع مزهوة بالحب الحقيقي. إنها كلمات يشبّهها الشاعر بالهذيانات، وهو محق تماما في ذلك لان لحظة كتابة النص تبدأ بهكذا هنهنات لا يعرف الشاعر كنهها، سيما أنها تأتي في لحظة توحد حين يختلي الشاعر مع نفسه لتحصل عملية المراودة لافتضاض الكلمة ليستمع لذاته وهي تلتقط الحنين القادم من بعيد لينسج سعير لهفته ويبث وجده في مملكته وهو يتلقى السحاب الثقيل في ذلك الليل حين يلامس مياه البحيرة المقدسة حيث تهفهف روح سليمان على وجنتيه ليخرج بلحن جنائزي لوطن هو فسحة الشاعر وحده دون سواه.

إن العالم عند الشاعر سعيد الوائلي لا يعدو كونه رقعة شطرنج تتحرك مكوناتها أحيانا ضدا على الرغبات وبشكل عبثي، إنما يختار الآخر الأمكنة التي قد تكون قاتلة أو تنتظر مسيرها بثبات. هكذا أطلق عنوان رقعة شطرنج على نصه الموالي حيث يقول:

شكسبير

ينهض الليلة من تابوته

يرتدي بزة الحرب

ليبارز عطيل

من جديد

كم يعود الجمال في دربكة الحروب قبيحا وسيئا، وها هو شكسبير يحيي رغبة القتال عند عطيل ليكون له ندا، وبدل أن يجعله نديما في وحدته القاتلة، يعيده ثانية إلى الحياة بعد رحلة الصمت الأبدي المفترض، ليرتدي بزة القتال ويجعل من عطيل غريمه بعد أن كان سلواه وهو يتأسى لأوجاعه، يتحول هناك في العالم الآخر من ألد أعدائه.

وهذا الترميز يوحي بفهم الشاعر للاعقلانية ما يحدث وبحرفية رائعة تشق الكلمات طريقها نحو قارئ يحمل هواجسه ليلامس شجنا أفلح الشاعر في أن يكوّن دارة أسى لألم ممض لا نهاية له كما يبدو.

في نصه التالي يقول:

بلادي الحمراء

تلبس قبعة الخوص

وتمهد الطريق

لعودة البلدوزر

من الشباك الخلفي

إن الحضور الدائم للعراق أرضا وشعبا ومكونات، هو الشغل الشاغل للشاعر سعيد الوائلي لنزوعه في توصيف حالة ذلك البلد الجريح بلغة العاشق المندوفة بالمرارة لما يحدث لتلك الأرض الغالية، وفي هذه الرحلة

الاسرائية وهو في منفاه، تتواشج المكونات وكأنه نورس مهاجر ينتقل لا جسدا بل روحا وقلبا وأحاسيس على تفاصيل الجرح العراقي.

فبلاده الحمراء، ارض السواد المعطاء، بتاريخها وحضارتها العريقة وبشرها الرائعين تضع على رأسها قبعة خوص تحاشيا لضربات الشمس الصاعقة وكأنه قدر لعين يلاحقها وهي الأم المعطاء الولود دائما، خيرا وبركة، رغم خفافيش الليل القميئة لتجعل الطريق سالكة لعودة الخصب والنماء من شباكها الخلفي ضدا على ماكنة الخراب والمحو. ولماذا قبعة من خوص وهي تجلس على خزين اللآلئ، وليست قبعة من حرير، تلك هي فرادة الشاعر المبدع في أن يجعل من الخيال الطليق بوصلته للالتباس النصي الجميل.

ومع أن الشاعر يريد أن يبقي الأمل بوابته للخلاص لكن ذلك البلدوزر يمكن أن يكون أداة بناء مثلما هو أداة هدم، ولكن لماذا من الشباك الخلفي؟ نترك للقارئ أن يكتشف نوايا الشاعر في هذا التوظيف الملتبس باستخدام نباهته الشعرية.

أما في نصه الجميل الذي يمثل عنوان المجموعة: لا...لن يحترق القمر:

في مملكة المرجان

في عمق البحر

اركب كآبتي

واترع البحر
إذا كان ابولو تمثالا اخرقا
لا يجيد سوى الأكاذيب والحيرة
فما ذنب الشمس...؟
تداعب السماء بمودة
أعمدتها الخيطية
تقاسم كبدها من تحب
وتغدق سلسبيل الحلمتين.

الشاعر سندباد عصره دائم الترحال حتى وهو قابع في محرابه لا يتحرك جسدا إنما روحا وأحاسيس وفي هذا النص تتجسد هذه الرؤيا لدى الشاعر تماما. أين هو المكان الذي يختاره الشاعر ليمتطي كآبته ويرحل صوب الخلاص؟ انه يختار مملكة جميلة لا بمعناها العادي المحسوس بل بحلمها الجميل وألوانها الزاهية ومخلوقاتها البهية.

تلك هي مملكة المرجان، إنما أين تكون؟ إنها في أعماق البحر وهي الرحلة التي يتمناها كل من يبحث عن الخلاص للهروب من حالات رثة تطوق الشاعر إلى حيث النقاء والجمال والبراءة..... ليعود الشاعر منتفضا على تلك الحالات التي أجبرته على الرحيل.

حين يوصم الشاعر الإله ابولو بالأخرق لا لكونه تمثالا لا روح فيه، بل لكثرة ما أثقله المراؤون بأرديتهم المزيفة، ورغم أن الشمس تضئ تلك الأمكنة، فلا ضير أن تداعب السماء بمودة وتعلن فورتها الدائمة إزاء سيئات البشر، وتبقى رغم كل شيء مصدر الدفء الذي يسري في جسد من تحب.

وهنا انتقالة الشاعر الجميلة حين يتذكر انه دائما يحتاج إلى الحس الأنثوي وبدونه تعود الحياة جدباء، وحتى الشمس تصبح ليست بذي فائدة إن هي لم تتشهى تلك الحلمتين اليانعتين، وبعد رحلة النشوة هذه يعود الشاعر إلى حيث القسوة:

جنود التماسيح
تجتاح القرى
والمئذنة الخضراء
تطحن قلبي
بين تلتين.

انه اللا تماثل الحياتي الدائم، فالجميل يقابله الرديء، والحياة لا يمكن أن يدعها الآخرون وردية هكذا، فهناك مخلوقات فضة لا تحب هدأة ولا تسعى لسكون، لتتحول إلى تماسيح تلتهم الأبرياء والوديعين وتحيل

اخضرار المدن إلى حرائق دائمة... ثم تبكي عليها ندما بدموع الزيف، وبين هذا وذاك، يظل قلب الشاعر يتلظى وهو متشبث بالأمل دائما.

أما أغنيات الشاعر سعيد الوائلي للوطن فيغرّدها هكذا:

أية غيمة محملة بعبق القمر

أية رجفة بلون الشظايا

تردد أسماءنا

تحفر قبورا من الليمون

هناك...

يرددها الشعراء

القمر عند الشاعر الوائلي ترميز له وطأ كبير، ذلك انه شديد التعلق بالقمر ولعله يرى وجه الوطن فيه حتى وهو على بعد آلاف الأميال، والغيمة دائما محملة بالمزن وفي ذات الوقت يريدها أن تحمل عبق القمر لترحل حيث ترك قلبه وذكريات الصبا هناك لتمطر في ذات المكان، قمرا لتضيء الأمكنة الدامسة.

رغم شساعة الأمكنة، فالأسماء في ولادتها ونحتها جدران البيوت الوطيئة هناك، تظل بكوارث حروبها وحقد شظايا تلك الحروب، تبقى رسومات وجد ومحبة... حتى وان عادت قبورا أو شواهد

للمغدورين من الشعراء، إنما هي في حقيقتها قبور ليمون تعطر دائما بشذاها وعبقها تفاصيل المكان.

في نصه (حلم) يقول الشاعر سعيد الوائلي:

احتضن بيدي عمري
وناقلتي صبري
واسطّر تاريخ حكايتي
على ورق من ماء

الشاعر دائما منذور للآخر وللمكان والتاريخ عمرا وطيبة وبهاء، لكنه يسطّر هذه الأشياء جميعا على ورق من ماء، ويعشق صبية من ماء، ويموت على حافة نهر، ويدفن في قبر من الليمون... ما أعذب هذه النهاية رغم فداحة الفقد، انه قدر الإنسان العراقي الذي يحيل الخراب والمداخن والدماء النافرة والأشلاء المتناثرة والبكاء المرير الذي يلعلع في كل الأرجاء والكوارث التي باتت قدر المظلومين، إلى فسحة أمل قد تبدو بعيدة المنال، لكنها الشكيمة في مواجهة النوازل الرعناء.

كل هذه الصور المتواترة يلتقطها الشاعر بوجع أعمق وإحساس قاتل ليحيلها إلى ملاحم لشعب لن يموت وارض لن تفنى أبدا.

إنها حالات تشكل محطات مهمة في جل نصوص الشاعر الوائلي، لتعلن بوضوح انتماءها إلى جغرافية المكان والجسد والانتماء، وهي

لعمري، موهبة كبيرة، حين يوظف الشاعر كل هذه التفاصيل بنصوص تتلألأ أمام القارئ لتوفر تلك المؤانسة والمتعة في قراءتها والغوص في متونها العارفة بدهاليز حرفية الإبداع الشعري الباذخ.

سعيد الوائلي

سيـــرة ذاتيـــة / 2008

شاعر وإعلامي وناشط في حقوق الإنسان ومترجم عراقي.

• مؤسس ومدير تحرير: الهدف الثقافي.

• أحد المساهمين في الانتفاضة الشعبانية المباركة في عام 1991.

• لاجئ سياسي في الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام 1992 وساهم في الكثير من النشاطات الثقافية والأدبية في ديترويت، وقدم عددا من الأمسيات الشعرية والأعمال المسرحية وأسس " المركز العراقي الأمريكي للثقافة والفنون " ثم أخيرا " شبكة حقوق الإنسان العراقية –أمريكا–

• نشرت له مؤسسة "Noble House "اللندنية العديد من النصوص باللغة الانجليزية.

• فاز بلقب سفير الشعر العربي لعاميّ 2007/ 2006 / award certificate / مكتبة الشعر الدولية. – ، طبعت بعض قصائده مع باقة من شعراء أمريكا بمجلدين مطبوعين تحت عنوان Deluxe Hardbound Edition

• طبعت بعض قصائده على (CD) تحت عنوان (The Sound of Poetry) مع أفضل ثلاثة وثلاثين شاعرا أمريكيا لعام 2006.

• فاز بجائزة الشعر الأولى لعام 2007 / مكتبة الشعر الدولية.

• ستطبع له "مكتبة الشعر الدولية " قريباً ديوانه الأول باللغة الانكليزية تحت عنوان (No... The Moon Won't Burn) لا ... لن يحترق القمر.

محمد طالب محمد البوسطجي نموذجا

قراءة في ديوان (آهات لا تنتهي)

إن أدب المنفى ليس بالأمر الحديث في المشهد الإبداعي العربي عموما والعراقي على وجه التحديد، فلنا في تجربة شعراء المهجر كعمر ابو ريشة وإيليا ابو ماضي والأخطل الصغير من لبنان وكاتب ياسين ومحمد ديب وغيرهم من الجزائر والطاهر بن جلون وعبد اللطيف اللعبي من المغرب والعديد من الأسماء التي اقترنت كتاباتها في الغربة حتى وان كان العديد منهم يكتب باللغة الفرنسية، حيث كان حضور المكان ووجدان البدايات ورابطة الدم وعشق الارض والناس، كلها حاضرة بقوة في اعمالهم وقلما نجد سطوة المكان الذي يبدعون لحظة كتابة نصوصهم الإبداعية في حضرته. فالأمكنة والشخوص والصور والوجع ولوعة الوهج الإبداعي وحنين الانتماء الى الجذور كلها تعود

الى حميمية المكان الاول وهي الحضن الدافئ للمبدع لحظة التماهي والولوج الى عتبات الكتابة النصية بكل تفاصيلها المريرة واوجاعها اللاهبة. ومهما بلغ احساس المبدع بالمكان الذي ينتج فيه النص فان الشعور بالضيم ووشيجة الدم تعنّفه دون ارادة او قصد ليذهب بنصه الى تلك الجذور المقدسة بعشق طاغ ووثنية في التعلق بالسماء والارض، وناس وتاريخ وعلامات واضاءات التكوين الاول للمبدع، فالمبدع من أكثر الناس ارتباطا ووجدا بهذه التفاصيل وهي مصدر الهامه وعطائه ويبقى المنفى اطمئنانا للمبدع من عسف السلطة ولجم الافواه وموت الجميل داخله. وصدق الشاعر اذ قال :

لا تنهرن غريبا عاش غربته // الدهر ينهره بالذل والحزن

ولا نغالي اذا ما قلنا ان المبدعين العراقيين يتصدرون مبدعي العالم اجمع من حيث شتاتهم واوجاعهم وبلاويهم بابتعادهم عن الوطن مجبرين بسبب الكوارث والمحق الذي طال كل شيء في العراق واولهم المبدع العراقي، ولا نغالي ايضا اذا ما رجعنا الى عهود ما قبل المحنة لنجري احصاء بسيطا لنكتشف ان مثقفي العراق ومبدعيه من اقل الناس حماسا لمغادرة بلدهم للارتباط الحميمي العجيب بالأرض خلاف العديد من مبدعي البلدان الأخرى، وهذا الامر لا ينسحب على المبدع العراقي فقط، بل المواطن العراقي ذاته الذي لا يميل ابدا لمغادرة

بلده والاستيطان في بلد آخر مهما كانت الاسباب لتعلقه الغريب بارضه وترابه الذي يقدسه حد العبادة، لكنما الهزات الكارثية التي حدثت بعد استلام الزمر الهوجاء للسلطة، حيث عم الخراب في العراق الجميل وبات العيش امرا كارثيا اضطر المئات، بل الالاف من الناس وفي مقدمتهم المبدعين لترك البلاد قسرا ، فتوحد الناس في الفجيعة إن في الداخل او في الشتات ، فهام المبدع العراقي في اصقاع الدنيا حاملا الوطن في قلبه ومتأبطا قصائده، زاده الوحيد وبوصلته في المنافي كلما عنّ عليه الحنين فاتحا قلبه وفارشا قصائده، آخذا بالنواح للنكبات والضياع . يقول الشاعر عدنان الصائغ في ديوانه تأبط منفى: "العراق الذي يبتعد كلما اتسعت في المنافي خطاه، والعراق الذي يتئد كلما انفتحت نصف نافذة قلت آه". حيث يبقى المبدع في انشطاره الدائم بين الوطن وهموم الغربة، ولا غرو في ان الشاعر الفذ بدر شاكر السياب عانى كثيرا من الغربة والابتعاد عن الوطن وعكست جل قصائده حجم المأساة التي مرغتّه حد اليتم فيقول في "غريب على الخليج" :"صوت تفجّر في قرارة نفسي الثكلى عراق/ كالمد يصعد، كالسحابة ، كالدموع الى العيون/ الريح تصرخ بي عراق/ الشمس اجمل في بلادي من سواها/ والظلام ، حتى الظلام هناك اجمل، فهو

يحتضن العراق" . فهل نجد أكثر من هذا الوجع الدامي والانكسار القاتل والاحساس بالضياع؟ انه الالتياع الحارق بعينه.

وتظل الوشيجة بين الوطن والمبدع دون انفصام ترافقه في حله وترحاله، ويبدو للقارئ حجم الفجيعة والحسرة في قصيدة السياب هذه، لتقودنا الى الامتداد الذي عاناه المبدع العراقي بعد عقود من رحيل السياب لنكتشف ان المنافي قدر العراقي ومعاناته الدائمة، فهل يعتبر ان ما كتبه السياب من نصوص تختلج فيها معاناة الشاعر هي بداية لأدب الاغتراب العراقي؟ حيث كان المبدع العراقي منذ الخمسينات والستينات وحتى قبيل الزلزال الماحق في نهاية السبعينات يعيش في بحبوحة الوطن رغم كل المصاعب التي كان يعانيها ويكتب نصه مندوفا بالتراب وعشق الوطن ورغم البلاوي المتلاحقة التي مرت بالعراق بقي المبدع العراقي لصيقا بارضه وناسه و لم يبرح المكان، دفئه في الحب والتعلق الصوفي والعطاء الدائم حيث تميزت تجربة الكتابة الابداعية منذ الاربعينات والخمسينات بعنفوانها وريادتها واشعاعها ليصبح الابداع العراقي قبلة لكل المبدعين العرب والقنطرة التي تزكّي عطاءهم ليتمكنوا من اغناء دربتهم من خلال بوابة الابداع العراقي بكل امتياز ولا زالت تأثيرات هذا التعلق وسلطة الابداع العراقي قائمة وتعتبر الوجهة التي تفتح منافذ العطاء لكل من يبحث عن منافذ

مشرعة على الجاد والرصين في الابداع المتميز. فهي تجربة غنية ووازنة لتكون بوصلة من يبحث عن انجاز نص يقترب من هذه التجربة الثرية ويتفق النقاد والمتابعون لمسيرة الابداع العراقي بهذه المسلمة وتأثيرها بل وسطوتها على عموم الابداع العربي، ليسعى كل مبدع إذا ما اراد ان يقترب منها ليغترف من مناهلها للولوج الى عتبات الكتابة الاولى، وكم من مبدع عبر من هذه البوابة بنشره في المنابر العراقية وظل وفيا لذلك الاحتضان حتى بالنسبة الى ادباء لهم الان باع وحضور متميز في بلدانهم، ظلوا شديدي التعلق بتلك التجربة المنبع.

غير ان ما وقع في العراق من كوارث عمت الحياة العراقية بتفاصيلها واحالت البلاد الى معتقل كبير والناس الى سجناء لزمرة ضالة، كان للإبداع الحظ الاوفر من تلك الكارثة، فطال المبدع اسوة بالآخرين من العراقيين ، العسف والاضطهاد والتنكيل والموت الممنهج احالت الحياة العراقية الى جحيم مرعب وحولت الحياة الى الم وخوف ورعب ومكابدة ولا ملاذ للمبدع الا خيارين احلاهما امر من الآخر، إما ان يلوذ بالصمت لئلا يطاله الموت أو يبحث عن ملاذ آمن ومنفذ للخلاص بعد ان استشرس القتلة ذبحا وابادة لكل شرائح المجتمع العراقي وباتت حياة العراقي في كف عفريت ان لم يصفق لهؤلاء الجهلة والتافهين، حيث بات هم المبدع ان يتأبط ما تيسر له من ابداع

والبحث عن بوابة الخلاص للهروب بجلده من بطش الاوغاد وترك الوطن باكيا وهو محمل شوقا والما والتياعا وبقايا كرامة ليجد في المنافي طريقه للخلاص من هذا المحق وهو الذي كان شديد التعلق بوطنه وترابه واهله وذكريات طفولته وصباه، وكم من الفرص اتيحت للمبدع لمغادرة العراق والعيش بعيدا عن الوطن قبل ان تحل الكارثة، الا انه كان يأبى ذلك رغم كل المغريات وفضّل البقاء لتعلقه الشديد بكيانه الانساني الا وهو الوطن الغالي، لتبقى الوشيجة الوحيدة بين الوطن والمبدع هي نصه، وحفنة من ذكريات موزعة هنا وهناك في رصيف ذاكرته، ليؤسس من جديد لعلاقة على نمط لم يألفه وهو يتنقل في المنافي وبلاد الغربة، يحلم ان يلامس ترابه حتى وان افلح في ان يأتيه الوطن في الحلم ليكتب عنه امرّ اوجاعه بسوداوية وحزن واحتراق دائم، فانجز الأدباء العراقيون ادبا مغايرا تماما لما كان سائدا وهم داخل رقعة الحصار القاتل، من حيث بنية النص واختيار المفردة وصياغة الصور التخييلية التي يسكنها البوح والاحساس باليتم والحيرة، وكانت ظاهرة جديدة في الكتابة ومنحى لم يألفه القارئ والناقد على حد سواء، فأفردت لها الكتابات العديدة شرحا وتحليلا وتقييما للكشف عن هذه الحالة الجديدة في الكتابة الابداعية والتي تؤثث لمنحى لافت وجدير بالاهتمام اطلق عليها النقاد والمهتمون تسمية "ادب المنفى"

وبرزت اسماء رصينة ووازنة لم تكن معروفة في الداخل او انها كانت قد احجمت عن الكتابة الابداعية لظروف القمع المستشري هناك، او كانت في بداياتها و لم تتلمس بعد طريق الكتابة بشكلها الأرحب حتى وجدت انها تبدع نصا يحاكي هموم الكاتب بابتعاده عن الوطن وبقراءة الواقع الجديد والاغتراف من مناهله، فعاد النص مزيجا من هنا وهناك، وبرزت اسماء عديدة زاوجت بين الثراء الذي حملته معها مع مكونات الثقافة الجديدة بكل ابعادها وتفاصيلها، وهذه سمة يتفرد بها المبدع العراقي دون غيره، ولا نريد هنا ان نعدد الاسماء التي امتدت على خارطة الابداع لمبدعين عراقيين طوروا واغنوا ثقافات تلك البلدان وكتبوا بلغة ذلك البلد احيانا وحصلوا على جوائز عالمية معروفة وشهادات تقديرية من اعرق المؤسسات الثقافية في العالم ولكنهم رغم ذلك ما حادوا يوما بأحاسيسهم ووشائجهم عن الوطن، بل بالعكس وظّفوا رهان وجودهم هناك وانعكست في جل نصوصهم بعد ان بصموها بأوجاع وضخوا الدم العراقي فيها. بمعنى آخر هل يختلف ادب المنفى عن سواه في داخل الوطن؟ ليكون الجواب بالإيجاب قطعا، فنرى قصيدة المنفى تعج بالوجع والحيرة والانكفاء واللوعة الدائمة والحنين والحسرة واليتم والرغبة في الرحيل لتفجير الحنين بمخيل شعري واحساس انساني كسير. وهذا لا يعني ان قصيدة

الداخل التي ولدت من رحم الموت والقهر والرعب اليومي لا تتواشج مع اليومي من حياة المبدع، بل كان المبدع اشد احساسا بهول الكارثة، انتج نصوصا دامية لان مبدع الداخل محاصر من سلطة القمع ومحضور عليه المجاهرة ولكنه وظف قدرته الابداعية في انتاج نص هلامي، عائم بترميزات مكثفة يستعصي على جهلة النظام فهمها، فتحايل على السلطة وتمكن من الافلات من ربقة المحظور بخلاف مبدع المنافي الذي يتمتع بهامش واسع من الحرية والحركة دون ان يخشى سياط جلاد أو مراقبة راصد كيدي. ولكن هناك الكثير من نقاط الالتقاء بين ابداع الداخل والشتات فكلاهما مغرق في سوداوية اللحظة ووجع الاحساس بالمرارة ليحيلا القارئ الي الغوص في خبايا النص والبحث عن التأويل الاقرب لمأساة الشاعر. ولكن مبدع الداخل كان يكتب نصه وحياته على كف عفريت ان لم يكن على قدر هائل من المراوغة والتمكن من ادوات الكتابة المخاتلة مع المتربصين بزلة الكاتب لتكون المقصلة بانتظاره، ولقد عدّ النقاد ان ادباء الداخل المطالبين بالحذر انتجوا نصا ابداعيا بلغة مكثفة وترميز عصي على الفهم ومفردة تخضع للتأويل وكان الله في عونهم حيث كانوا بين سنديان اللحظة الحارقة للكتابة ومطرقة الجلاد فافلحوا في الافلات وانتجوا نصوصا باذخة ومبدعة حقا وما كتاب ليالي الحصار الذي

يضم نصوص لشعراء العراق في الداخل الذي اشرفت على اصداره دار الصدى الا دليل بيّن على تمكن مبدعي الداخل من العطاء اللافت في اوج محنتهم*.

لقد برزت اسماء عديدة بسطت حضورها بقوة في المشهد الابداعي لبلدان الشتات ويكفي ان نذكر اسماء تعتبر الان قبلة للمبدعين الشباب في تمثل تجربتهم الرائدة منهم: خزعل الماجدي، عدنان الصائغ، أديب كمال الدين، الراحل مصطفى عبد الله، عبد الهادي سعدون، وديع العبيدي والعشرات من المبدعين العراقيين، ظلت نصوصهم تحايث الالم العراقي مندوفا بألم الغربة وحرقة المنافي. ومن الشعراء الذين اسسوا لقصيدة المنفى بامتياز ومنذ اواسط السبعينات حتى باتت قصيدته رديفا لأدب الشتات بحرقتها ولوعتها وحجم الاسى الذي تعج به النصوص، الشاعر الراحل محمد طالب البوسطجي بتجربته المتميزة كعلامة بارزة لأدب المنفى او ما اصطلح على تسميته "ادب الخارج"، لأننا بقراءتنا لتجربة الكتابة الابداعية في الداخل التي تميزت هي ايضا وكما اسلفنا بالمحاصرة والضيم والقهر وكمّ الافواه، لكنْ بمشاكسة قد تكلف المبدع حياته لان الكتابة الابداعية غدت امرا كيانيا بالنسبة له ولا محيد عنها، فكتب نصا جسورا يعج الما وحسرة، امتدادا لهذه التجربة التي قد تتقاطع او تلتقي مع تجربة الخارج لنتبين ان التجربتين

تتمرغان بذات الالم والمرارة وان ظهرت بعض الاختلافات التي قد تبدو شاسعة احيانا بين التجربتين بسبب الظروف الموضوعية والذاتية لكلتيهما، ولنأخذ تجربة الشاعر

محمد طالب البوسطجي من خلال ديوانه (آهات لا تنتهي) لنتبين جليا ومن خلال غورنا في متن النص حجم المعاناة والاحساس باليتم فجاءت القصيدة بناء متكاملا جدّرت وجودها ولحظة كتابتها مع مرجعياتها الأولى، فكان الوطن حاضرا بقوة ليحول الشاعر الاشياء التي يعيشها كلها الى صور متحركة وأنسن حتى اللا متحرك ليضفي عليه لبوسا عراقيا متحركا باتجاه الانعتاق من اسار اللحظة القاهرة لتمنح الشاعر هدأة حتى وان كانت وهمية، ليستريح قليلا من لوعته ونشيجه ويشعر بدفء التراب الذي ظل يناجيه بمرارة. يقول الشاعر في تقديمه للديوان (انا لا اكتب القصيدة مبتورة، انما تتشكل قصائدي ضمن رؤية تتكامل وتشكل العمل)، وهنا يؤكد الشاعر بعدم اجتزاء الجملة الشعرية فيشوه الصورة الشعرية ليجعلها مفككة، ركيكة ومتنافرة، انما صياغتها وحدة واحدة معنى ومبنى:

في نصه الاول: (عند ضفاف السراب) يستهل الشاعر مناجاته للوطن فيقول:

هذا الوطن الموعود/ الممتد/ بين الاوهام/ مارا بالذكرى/ يعيش على قارعة الوهم.

إنه الوطن الوهم لينتفض بداخله ركام المواجد ليجدد صورة الوطن حتى وان كان رمزا لا يعدو كونه توظيفا سرياليا ليعود الوطن ضفافا من سراب ولا ينال الشاعر غير الوهم الموعود.

الوطن يوصد بوابات/ يضرب بأسوار/ حول الاحزان ..... لغة سوداوية وصور قاتمة تشكل واقع الحال عن الوطن واستحالة الولوج من بوابات مؤصدة وصعبة المنال ليعود عراق الشاعر اسوارا لا يمكن اجتيازها فيطل بحسرة على ابجدياته الاولى طفلا هلوعا ينط هنا وهناك وهو لا يعرف من امره غير حنو ودفء الوطن امتدادا لدفء امه، يظل الشاعر مستلبا، يبتلع صراخه الحسير وينتحب وحيدا غارقا بالشجن. تبين هذه الصورة المأساوية حجم المرارة التي كان الشاعر يقاسيها.

هذا الوطن الممتد / بين الحر الغاضب والصحراء الميتة/ ... يستذكر الشاعر هنا وبغصة ذلك الشعار الفضفاض: وطن يمتد من المحيط الهادر الى الخليج الثائر، وهنا يشرك الشاعر الوطن العربي برمته في المأساة ولا يستثني العراق الذي يظل وحده نافذة الشاعر المشرعة على كل الاحتمالات ليؤسس للاتي من الايام والاحزان القادمة، وتوظيف

الشاعر هنا الصحراء الميتة بدل الخليج الثائر هي نبوءة الشاعر حيث تحول العراق الى وطن اطلال وصحراء قاحلة وجرداء لا حياة فيها انما الموت وحسب هو الذي يعشعش فيها، فيكرر دائما جملته الجارحة: هذا الوطن الوهم، حين تحول زهو العراق بنخيله الباسق الى لون داكن من رماد الفتك الرهيب وخرائط لا توجد إلا في عقل ووجدان الشاعر.

هل ابصرت الشجر المتشاجر مبتعدا / كقلائد داكنة / تدعوك وحيدا / تفسد الابواب / ترتفع الاسوار/ تبدو قدماك المتربتان كخفين ...

يستحضر الشاعر طفولته فيعدو صوب الوطن بقدم حافية مترية ليتوسد ترابه ويتنسم هواءه، لكن الوطن ينوء بحمله دون ان يحظى منه بلمسة دفء وهو شديد الاحساس باليتم، فيشعر بالانكسار حيث يعود الوطن رديفا للظلال والعقبان: بحثا عن وطن وظلال/ العقبان الحائمة، التي تحوم على جيف الموتى ليعود الوطن مقبرة كبيرة.

من يعيد لقلب الشاعر سريرته ويبعد الخوف عنه وهو قابع في محرابه القصي لكن الوطن يبقى دائما مصدر قلق الشاعر.

يسترسل الشاعر البوسطجي في ملامح الوطن القاتمة: الساعة لم يك في هذه الارض سوى/ صمت وسكون/.... كل شيء تحول الى صمت قاتل، لا حياة ولا حركة ولا بهاء، لم يتبق من الوطن غير الصمت

وهو الذي يتوق للتحول الدائم لكن روحه الكسيرة في هذا الوطن الكسيح، صرخات للشاعر تموت عند ولادتها.

وبلغ تيه القوافل/ لتطل على الساحل مغمورا بالغرباء والامتعة/ تسبقك غيوم سماء حبلى .

القوافل ضاعت في قلب الصحراء يا صديقي الشاعر، ومحطتك ستعود واحات جرداء وانت محاط بالخوف وتنهش لحمك الكلاب، فانت دائما مغمور حد البكاء بالغرباء والامكنة، ها هو البحر يدعوك ايها الشاعر المنكوب لتفرغ شوقك في هدوئه الحذر ولا غير السفن مآلك للإبحار وانت على ظهرها محملا كالغرباء المنكوبين.

ينفتح على الكون/ ينبض بالفرح الصاخب/ والهول الصاخب فانشر قلعك / ولتدن الجزر المأهولة بالأشجار وبالأغراب...

الشاعر دائم الابحار بين الفرح الصاخب والهول الصاخب وهل يتواشج الشجر مع الغرباء وانت تطل يتيما وسط ركامات الاحزان؟

أنشد اشعارك فوق ضفاف/ هي الامل المدفون / يدعوك البحر فكن وطنا/ كن خيمة عشق غيمة احلام...

حتى الامل السراب بات مدفونا في الوطن، فالشاعر ممكن ان يكون وطنا ولكن الوطن لا يدس الشعر هباء في تفاصيل الشاعر، تحوم روحه لتندس في طائر، وديعا كان ام جارحا، ولكن النباح يظل يلاحقه،

وهنا يقارن الشاعر بين النباح والاصوات النشاز التي تعكر لحظة التوحد مع همومه الشعرية، ليبقى غارقا في الحلم وهو يلعق قدره المتربص بلحظات ذلك التوحد المقدس.

ولعل هناك كروما... نخلا / اجمات قصب / فالهاجرة لهب / لهب مظلم / كسعير/ ألق الخطوة بعد الخطوة/ اللج امامك. / هذا الغمر الغامض/ ككتاب / هل هذا الغمر سراب؟

يعدد الشاعر في مواجد حزينة اسئلة حارقة قد لا يجد غير الهواء متنفسا لضيق الروح وهو شاخص صوب ترنيمة الوطن بمتناقضات اليمة: كروم، نخل، اجمات، هاجرة، لهب، سعير، ألق، كتاب، سراب. لينتهي للا شيء غير السراب بعد هذه الرحلة الاسرائية ولا يمسك من امله الكاذب غير السراب.

في نصه الثاني (نشيد) تتواصل هموم الشاعر في ذات الدائرة الحلزونية المتعبة:

ترى تأتين كالأسرار / احملها فتسحقني / تمر على ضلوعي / احتمي بالبحر/ يفتح جناحيه لكل احلام الفرار/ تورثين مكامني ألم الصراخ/ تباغتين الريح بالأشجار/ والاحزان بالأرواح/ والغربات بالذكرى / وآمالي / بكل شرائع النكد...

هل يتوسم الشاعر دروبه ليشذ عن لحظته غارقا في نشيده المتعالي تارة والخافت تارة اخرى؟ ليجد منفذه الوحيد وهو يطأ ارض الوطن، البحر، او يطير بجناحيه وهو هنا يبادل الاشياء بغيرها ويعيد ترتيبها حسبما يرى ليقتعد على امواج البحر، طائرا حين يتعب ويحلق بعيدا، بوصلته تراب الوطن وضوع عطره والحبيبة تبقى سفينته للخلاص من اتون المحارق الى نشوة الانعتاق.

غدا ارتد للمدن السجينة في الضجيج/ وأكتري دارا/ ازينها بأحلامي / وافرشها بأسراري/ واشرع بابها للريح والاغراب/ وازرع في حديقتها الازاهير...

مهما تكاثرت على الشاعر المواجع، يظل متشبثا بالأمل، لا يلتفت احيانا لمآسيه قبل ان يطل على لحظته ليشرع في الخطر القادم، فهو شاخص النظر للآتي دائما، وغده امله وليس سوى ان يقبض بدفة الريح ليذهب بعيدا ويكفيه ان يبقى الوطن حيزه الابهى ليكتري دارا تذكّره دائما بدفء الوطن يزينها بأحلامه ويفرشها بأسراره، انها ملاذه الاخير من عسف اليتم وقهر السنين، ليعبقها بضوع ازاهير محبوبته، لكنه وهو في نشوة الامل والاحساس بالفرح حتى وان كان واهيا ، لا يتحرر تماما من سطوة القدر اللعين وملاحقته لكل خطاه حتى وان كانت صمتا ودون ضجيج، وهو طيب حد البكاء حين

يدجّن في حديقته حتى الغرباء ويفتح بابها للريح منفذ الخلاص من ربقة المحاصرة القاتلة لتصبح داره جنة مطوية بالصمت، يبقى الوطن في ضمير الشاعر اشراقة دائمة التوهج و التلألأ حتى وان كانت في خاطره وضميره لا تخبو ابدا، ليظل صامدا كالشجر يجاهد الريح والعواصف وانواء المحو ولا يتزحزح حتى يلتقي الحبيبة ليندس في جسدها وروحها لتهدأ روحه ، تتكرر في نص الشاعر مفردات: البحر- الموج- الريح- الطير- الاعاصير- الاجنحة...

واظن انه يجد سلواه في المقاومة تحديا لرعونة من أفقده وشيجته بترابه واهله.

في نصه (تهويمة) يفتح الشاعر ذراعيه مشرعة للأمل: لو اسعدتك الريح/ لو مرت الامواج كسلى/ لو تثني الشراع/ لو حنت الاسرار نز اليراع/ اغنية كسلى/ لو أسدل العشاق اجفانهم/ لو عانقت وهمي/.... يكرر الشاعر جملته الشعرية: لو.... ثمان مرات احساسا كبيرا بالانكسار لينتهي: حيث تراني / بين وهم سرى/ ورحلة لا تنتهي بالرجوع.

الرجوع ذلك الحلم المؤجل ليلملم الشاعر جراحاته.

اما في نصه (الرحلة) يقول:

بدأت اعشاب الوهم / والطرق الموغلة / في الاهوال الموقوتة بالخطوات...../ بالباعة والاردية / القمح والاسرار؟ / اتكون الخاتمة طوافا آخر؟

انها دورة من الالم الممض الذي لا يدع الشاعر ان يتنفس الصعداء ويعيد ترتيب نفسه لينطلق ثانية وثالثة دون ان يجد ومضة امل في نهاية المشوار، فالطريق محفوفة بالمخاطر والمغامرة غير محسوبة النتائج وعليه ركوب الاهوال ولكن بخطوات موقوتة لان الحذر مطلوب ويستعين بذكرياته المختزنة ليرطّب الذات المنهارة فيحييّ بداخله تلك الايام الخوالي من صور حياتية يفتقدها الان، تلك لعمري محنة حقيقية يقاسيها ادباء المنافي وهم يجهلون أي سبب لهذا الخراب الذي يقطّع اوصالهم ولا من سبيل للانعتاق او لمسة حنان وهم بأمس الحاجة ليشعروا بدفء الحياة وعدالة الوجود الانساني لكن هذا الامر يبدو عصي التحقيق:

أتكون خرائب ترعى الاغبرة / والاعشاب اليابسة؟ / بينما الاعمدة الهرمة/ والبوابات المفتوحة للصيف وللأوهام/ الراحلة/ .

يعاود الشاعر الكرة دون ان يشعر بالملل، فهي قضية مقدسة ورحلة سيزيفية بإصرار شديد الوثوق من النهاية، ولكن اية نهاية واي مصير ينتظره ليظل الخراب سمة يستوطن الذاكرة بجفاف دائم؟ وحتى

الاعمدة مؤول الشاعر لتقيه عسف الوقت، باتت خربة وآيلة الى الانهيار، لتبقى الابواب دائما مشرعة للصيف والاوهام الراحلة ولكنه يظل متشبثا بكل شيء.

الوهم ثم الوهم ولا سواه ملاذ الشاعر في الهروب من قسوة اللحظة الى فضاء أرحب ومملكة من الحلم يزوقها كما يشاء، ليظل تحت وطأة الاحساس بالجميل في داخله رغم قبح ما يسوره من فضاعة وبشاعة والم دائم.

بدأت اعشاب الوهم/ وانداح سراب/ كنت على آخر لجته / طافية / والقافلة الهلكى / تتجاذب أطراف اليأس.

الكلام ما عاد متنفسا للشاعر والصمت ديدنه في التعايش مع ما يحيط به. جدب الارض يدك كيانه بآبارها النضبة بعد ان كانت ارض العطاء والخصب، انها ارض السواد، الوشائج تتجذر في اعماق الشاعر أكثر فأكثر والوطن يتحول الى امل زئبقي الملمس كلما امسك بتلابيبه، انزلق من بين يديه ولم يجد غير الخواء. انها محنة وهم قاتل وهو في منفاه يستغيث بما تيسر له ولكن دون امل لتصفعه ريح الاشجار الصفراء.

الكرم على الطير/ الطير على الكرم/ النحل يثرثر، اجنحة تهمي/ النمل المنتظم خيوطا سوداء / القطط المتشمسة / ينابيع خمور/ عسل أشقر/ اعراس قائمة قاعدة / اشرطة حرير/ اطفال مبهورون/ نيران عذبة.

تلك هي السوداوية القاتمة بعينها، بتناقضاتها، وكلما فتح مسربا لهذا الحصار، داهمته المخاوف ثانية، لتعود مخلوقات الارض مصدر شغب وخوف وتوجس/ النمل يثرثر ... ليعود خيوطا سوداء والقطط ينابيع خمور، ونيران الوطن تلك العذبة يستحضرها الشاعر في وجدانه ليعيد لّمة الاهل حولها فهي دائما عذبة قبل ان تلسعه بوهيجها اللافح، وهو يحسد حتي الورق الذي كم تمنى ان يصاحبه همسه، ليكركر معه مثلما الاطفال في الق بريء.

الغرباء يقيمون هنا / الشمع المنتظر على محمله/ وكوى الشرفات المشرعة/ الاشجار/ المتناثرة / هنا وهناك.../ الاتربة/ الاعشاب بدأت اعشاب الوهم.

ترى من يقيم في وطن الخراب غير الغرباء والمنحوسين؟ فلقد وصل الشاعر الى نهاية القول لان الوطن حين يعود خرابا تحل العاصفة لتذهب بكل شيء بما تبقى لهذا الوطن المنكوب، خراب يتوزع هنا وهناك لتغطي الاتربة جمال الامكنة ويبدأ الوهم دورته ثانية، دائما يعود الشاعر لهذه المفردة بعد ان يحلّق بعيدا عن تفاصيل الخراب ليوهم

نفسه ان ما حل بوطنه من محو كان مجرد وهم ولكن ما ان يصحو من غفوته حتى يجد نفسه مطمورا تحت أنقاض الخراب الذي يتوزع في ارجاء الوطن دون تفريق بين الامكنة فيصحوا على الحقيقة المرّة.

ان الشاعر برحلته الإسرائية هذه يعالج لحظات الاسر الهارب بالإمساك بصرير الريح لكيلا يعود وهما، فيعبّأ رئتيه برائحة الوطن وعبق ترابه. تلك لعمري اشد لحظات التعلق بالوهم، ليغدو في مخيلته حقيقة وحسب، وما سواها محض هراء. الوطن القابع تحت جلد الشاعر يتحسسه لحظة بلحظة بهاجس الخوف عليه تارة ورغبة التوحد معه تارة اخرى، حتى وان ابتعدت ظلال الجفاف عنه، ولا بأس في ان يطّل على رمانة الحلم في لحظة رائقة ولكن بتوجس شديد الحذر من المفاجئ.

اسراب قطا تتشاجر في أبد ميت/ واحات داكنة وظلال/ أخفاف نياق متروكة/ دمع اخضر/ أسرار ذابلة/ بوابات بحار/ أغراب مغمورون/ سفن عابرة / يبتسم سليل الاحلام الرثة.

يظل الشعر يعدد منافذ الخلاص بقلق شديد وبعشق طاغٍ علّه يتلمس جادة الصواب لتوق اللقاء، فيوظف في نصوصه تعابير تتقاطع حينا وتتنافر احيانا اخرى ليجمعها في بوتقة واحدة بكل متناقضاتها: نياق

متروكة- دمع اخضر- اسرار ذابلة- بوابات بحار- أنداء سفن عابرة- عنقاء محنطة- رخ مشنوق.....

فكيف يجمع الشاعر هذه الاشياء المتنافرة ليضعها امامه دون ان يميز بين النافر وبين القريب الى القلب، وبه توق ليفتح ذراعيه صوب الوطن البعيد بفرح طفولي والاحساس بالشوق يمزّقه:

انت الضيف الباحث عن خيمة/ انت قرى للصحراء الجائعة/ نيرانك اهوال النفس...

ولكن بعتاب دامع والم ممض وحسرة قاتلة:

جلاسك موتى العشق/ سعدك متعب/ قدماك رصاص صدئ ...

وبعد هذا العتاب اللاهب والمواجهة الحنونة واللوم الكسير والاحساس بعمق المودة، يرطّب الشاعر لغته لئلا يظل الوطن غاضبا عليه وتظل الوشيجة دون انفصام يخاطبه بحنو شجي:

أرح عينيك / تهدّج بالنجوى/ أوقد بارقة الامل...

في نصه الاخير (طيور) لا يكاد يرحل الشاعر بعيدا عن ذات الأسى والاحساس بحاجته للوطن الذي كم جال في الخيال ليرتّب له مكانا يحتميه من قسوة الغربة، لكنه يظل يدور بمواجده الصارخة ولا من مجيب، فيتدرج بدلع طفولي واحابيل خادعة كأنه صبي يبحث عمن

يمد له يد العون لينتشله من ركود اللحظة الى فضاء أرحب ويمرح بريء كأي طفل في الكون يبحث عن ملاذ وحنو وصدر دافئ.

عند غروب الاحلام الكدرة / تجلس في دارك/ منفردا بالذكرى/ سعف نخيل يتهامس/ كشيوخ تنصت لنواح يمام...

هنا يستحضر الشاعر كثيرا من ملامح مدينته البصرة، بنخيلها ومائها وشيوخها وحمامها وابراجها ومقاهيها وشوارعها وساحاتها وحنوها وفي هذا الكم الهائل من الذكريات انما يريد فقط ان يتنامى الامل بداخله ويستوطن الانتشاء في صدره، لكنّ الخوف يلاحقه وينتفض بداخله دائما رعب مجهول ليزيح ذلك الاحساس الجميل مؤانسه الوحيد في هذا الطقس الموحش:

انت غريب/ طاردك عواء ذئاب جائعة/ فنشرت جناحيك/ وطاردت الافاق/ منكفئا تقضي اوصالك باردة /سفن جانحة/ أنهكها اعصار/ مرت في احلام الغرباء تشيّعها/ احشاد نوارس...

يتوكأ الشاعر على احلامه، زاده وجع الغربة وهمه الدائم، صورة الوطن الضائع بين زوايا الروح وركامات الخراب:

من يطرق نافذة الاحلام/ الكدرة/ اصوات الديكة/ تعلن/ عن تيه نهار آخر...

هكذا وببساطة ينهي الشعر دورته الدامية دون ان ينال عشبة الحياة – الامل – متمثلا بعذابات مواطنه جلجامش الذي قاتل حتى الريح دون ان ينال ما أفنى ردحا من عمره بحثا عن امل الحياة الخالدة، يلتقي العراقيون جميعا في ذات الهم ونفس المعاناة، مكابداتهم لا حدود لها منذ ان بزغت شمس الحضارة على هذا الوطن المعطاء حتى يومنا هذا ولعلها تمتد الى ما شاء الله.

ان رحيل الشاعر المفاجئ الذي مثّل لكل مريديه، فاجعة حقيقية حين امتدت له يد الغدر والاجرام واغتاله قتلة محترفون وظلاميون جهلة، انه فعل جبان وخسيس ارادوا من خلاله اسكات هذا الصوت الشعري المتميز والقامة الابداعية التي تركت ارثا شعريا كان بالإمكان ان ترفد المشهد الشعري العراقي والعربي الحديث بالغني والجديد.

كان الشاعر الراحل محمد طالب البوسطجي صلبا ولم يخضع لتهديدات القتلة، فواصل تحديه لإنجاز مشروعه الشعري الذي نذر حياته من اجله حتى اتحفنا نحن اللاهفين للولوج الى مملكته الشعرية بغناها وتفردها، وكم آلمنا نحن الصحب المحبين لهذه الموهبة الفذة ان يخسر المشهد الشعري العربي عموما والعراقي على وجه التحديد، هكذا صوت معطاء تميز عن الراهن في الكتابة الشعرية وخلق له كيانا

مستقلا ومتميزا يكاد لا يقترب عن التجارب الاخرى من حيث التأثر والتقليد والتناصات الشعرية التي كثيرا ما تصدمنا حين قراءتنا لها.

ان محمد طالب البوسطجي صوت شعري صادح، كم شعرت بالضيم وانا اقرأ نصوصه، فتذكرت مآسي بدر شاكر السياب ومعاناته مع المرض وعشقه الصوفي لوطنه العراق، سيما اذا ما قارنا بين الاثنين، فنجد الكثير من الصور الشعرية توحدهما معا من وصف النخيل، الى وصف الطبيعة وكثيرا ما تكون تلك الصور الشعرية لصيقة بمدينتهما البصرة، ثغر العراقن المدينة التي انجبت الشعراء والمفكرين والعباقرة في كل مناحي الابداع الانساني المتعدد المشارب والاتجاهات.

ينبغي ان نعيد ذكرى الشهيد محمد طالب البوسطجي دائما، ليعيش في قلوبنا ويستوطن ضمائرنا، شاعرا وانسانا ومناضلا وشهيدا، وبهذا الوفاء الذي لا يجب ان يفتر ابدا، نكون قد ساهمنا بإحياء ذكراه العطرة، ووجهنا لطمة للقتلة الاوغاد حين ارادوا ان يسكتوا هذا الصوت الخير ولكنهم خسئوا في فعلتهم و لم يفلحوا في ذلك.

ولنقف جميعا ادباء ومثقفين وقراء اوفياء في العراق او الجزائر او على امتداد الوطن العربي الجريح، وقفة اجلال وتكريم لروحه الطاهرة ودمه الزكي، وليخسأ كل من شارك في الفعلة الدنيئة والخلود لك يا ابا رافد الشاعر الثر والانسان الطيب والنادر الوفاء...

بلقيس حميد حسن

شاعرة يحترق النبيذ على شفتيها

السؤال الذي ما انفك النقاد والمهتمون في الشأن الثقافي عموما والإبداعي على وجه الخصوص يجدون غموضا في حسمه، هو هل يمكننا تجنيس الإبداع إلى إبداع ذكوري وآخر أنثوي؟

في هذه الثيمة الملتبسة يكون الجميع أمام إشكالية من نوع خاص، يتداخل فيها التحليل النقدي برؤيا المبدع، ولا ننسى موقف القارئ الفطن والمتابع الجاد بهذا الشأن كونه من مكونات النص، والتزام المبدع وبحذر شديد لأنه يكتب لقارئ ندي يمكن أن يحيل النص إلى شرك، بتوظيف مداهن، على المبدع أن يكون في غاية الحذر والفطنة مع نصه.

فهل هناك فارق بين المنتج الذكوري عن صنوه الأنثوي؟ تختلف الآراء حول هذا الموضوع، فمنهم من يجد الفارق كبيرا وينبغي وضع حدود

بين هذا وذاك، إنصافا للنص، ومنهم من يجد أن هناك تداخلا يكاد يكون هلاميا وغير محسوس بين الاثنين، وطائفة أخرى لها موقف محايد، ومهما يكن من أمر هذا الإبداع العصي على التفكيك، يبقى المتابع يجد أحيانا صعوبة في الإحالة، ونحن مع كل الآراء الخائضة في هذه الاشكالية، إذ نجد أن لا فرق بين جنسي الابداع أولا، وثانيا لا بد من طغيان النفَس الأنثوي على النص بكل أجناسه الإبداعية ليمنحه أريجا خاصا وعبقا قد يحيل لحظة القراءة أكثر متعة وانشدادا للنص.
ونفس الشيء يقال للإبداع الذكوري، ليظل الإبداع الحقيقي مجردا من التجنيس في غالب الحال، لتبقى اللمسات التي لا بد منها والتي تظهر بشكل غير قصدي في النص، وهذا أمر معروف وجائز لإغناء لحظة الكتابة إذا ما أردنا للنص أن يكون صادقا وبمواصفات نجاح وديمومة العمل.
فكم من الابداعات وبكل الأجناس نراها بلغة ذكورية من كاتبة مبدعة والعكس صحيح. بحيث يصعب تمييزها، لقوة التشابك في العمل، لأنها ولادة لقادم يؤثث فضاء القراءة بالجديد دونما فرق بين جنس مبدعه.
تبقى الكتابة أنثوية كانت أم ذكورية، هي شحنات من العطاء الانساني لتحقيق متعة القراءة بسطوة ابداعية تمنح القارئ لحظات من

النشوة وتتوحد لديه وحدة العمل، ليبقى المعيار الأساس جودة النص لتتحقق الألفة المطلوبة بين المبدع وقارئه، وهذا هو الهدف الأسمى لأي مبدع.

حين تنحاز الكاتبة للرجل بقصدية لها مدلولاتها لتكرس مخاضات الكتابة العسيرة والمشحونة بالوجد والعذابات بلحظات تمرد على الذات الكاتبة لتتخلص ولو لحين وبصدق متناه من ذلك الحسي المجرد وغير الموجه، لتحقيق متعة التواصل على البياض مع من ترغب دون أن تشي بنواياها بحثا عمن تحب لتقتنص لحظات فرح ومسامرة وبهاء، وتشعر بأنوثتها الحقيقية وقد مدت خيوط الألفة غير المرئية وبموقف رافض للمدجن وشجاع لتتجاوز الكوابح المجتمعية الرثة، لتعلن وبتجاسر عن كينونتها الانسانية غير المهادنة لتخرج عن المألوف الشاذ والأناني، هذا الفعل المغامر هو بحد ذاته نضال مقدس، يستحق الوقوف معه ودعمه بكل ممكن لتلمس طريق الانعتاق من تابوهات متخلفة وبالية.

هذا الوضع الباهر يطفو بقوة وحضور آسر ودون عناء الكشف، في نصوص المبدعة الشاعرة البهية بلقيس حميد حسن في كل أعمالها الشعرية الجريئة، وتحديدا في ديوانها الأخير الموسوم (أجمل المخلوقات رجل) الصادر عام 2012 عن دار ميزوبوتاميا في بغداد.

عنوان الديوان يشي بانحياز لا يطاله الشك، بأن الشاعرة المبدعة بلقيس حسن لعلها وجدت من تحب كاكتشاف في أقانيم لا تطالها إلا هي، برحلة بحث شاقة، لتجعل من فارسها هذا، مرآة لكل رجال الكون، بالرغم من كل الحيثيات التي تميز بين هذا الرجل وذاك، لكنها وبنفَس صوفي تتعامل مع الجميع على أنها مخلوقات ندية، جميلة، تجردها من كل نوازع السوء، لترفعها لمصاف القديسين.

تنادي فارسها وذراعاها ممدودتان باتجاه المجهول لنا، والمرئي لها وحدها وصوتها الأثير يملأ الأفق:

تومئْ لوحدتي أن اتبعيني
رجل من عسل أنت
كيف لي وأنا النحلة
التوقف عن الدوران من حولك (ص 5)

حتى وهي بهذه المواجد الغامرة للعثور على فارسها، حبيبها العسلي هذا، تبقى هي مصدر العطاء والتوالد، لأنها هي النحلة، فمن ينتج العسل يا ترى؟ ليعود حبيبها هو وليدها، الذي شكّلته بمعرفتها ومثلما تبغي هي، مسيح جديد يتشكل من بذرتها وبداخلها ليولد، حلوا، وديعا، عسلي المذاق والفعل:

تومئ لشفتي بقبلة

رجل من عسل أنت
كيف لي، وأنا الحالمة بجناحين
التوقف عن الرحيل
إلى حيث تزقزق العصافير (ص 5)

هذا المقطع الشعري الإيروتيكي، يحرك شهوانية القارئ لا بنزوعه الحسي الفج، وبسطوته الذكورية بنزعة الافتراس البهيمي، بل بمناغاة روحه العطشى للحنو الأنثوي الفاتن، بوجد دامع وشفيف، وهي تناغيه مثلما تترنم شدوا لرضيعها الوديع، ملاكا ملفعا بالبياض، يحرق المسافات ويعدو الفيافي للوصول اليها في حركة دائبة من البحث عن مآله اللذيذ، مرة يغور في أتون الممكن، ومرة تبرد جذوته، لتبقى مواقيت الكشف شاخصة في وجودها كله وهو بذات الجنون للامساك بتلابيب المعنى لتلك الترانيم القدسية في محراب الحب الإلهي، رجل من عسل يمنّي النفس أن يلتقي بمن جعلت منه حلو المذاق وشهي الوجود وبحضور غني وطافح بالمعاني البليغة.

مولاي الأمير
حصاني العربي الأصيل
ما الذي أوجعك وأرخى قدميك الرشيقتين؟ (ص 7)

إنها انتقالات لأنثى متعددة الحالات والحضور العبق، هي في حالة انكسار وهي تترقب اطلالة حبيبها وهو بهذا التوجع الذي أحالها إلى امرأة كسيرة ومحبطة وحبيبها ذلك الجواد الجامح كما عرفته، يتحول الى وضع كسيح غير قادر على حملها كالبراق لأصقاع أخرى أكثر بهاء وغبطة وهي تحلم بفارس يلملم هواجسها في لحظة توحد ليطلي جسدها المنقوع بالرغبات، فيا لها من خسارة موجعة لتبرد جذوة الرغبة عندها بعد أن تواشجت معه ليعودا جسدا واحدا ونفَسا نديا وتنهدات لا يسمعها سواهما، عاشقين بتواشج حبيب ونقاء سريرة، أليست تلك أجمل ما يكون عليه عشق ملائكة الرحمة؟

وأهرب للنبيذ الأحمر المسفوح والمذبوح من وجعي

وتهرب من زوايا يومك الخالي

لتقتل رغبة الجسد ص (10)

بهذا الوجد الأنثوي تغرق الشاعرة في نشوة الرغبات لتخاطب كل الرجال الباحثين عن ملذات الجسد، ولكن أي جسد هذا، وهو المأسور لحبيبها دون سواه، لكنها ترثي كل الرجال الهائمين في مفازات الحلم وهم بهذا اللفح الذكوري، لتسقي عطاشى الوخزات، الحالمين بنشوة اللا ممكن من نبيذها المسفوح من دمها. فأية منادمة هذه التي ستمنحها لحبيبها وكأن رجال التيه كلهم قد تجمعوا في

حظرتها والتنسك في محرابها، لتكون هي الساقية لنبيذها الذي يحترق على شفتيها لهذا الجمع الذكوري المبارك.

إنها أنثى ما لامس جسدها الغيث الذكوري بحثا عن شهوة الخلاص، بل تلك هي بداية الخروج من شرنقة الحصار المضروب عليها منذ أن لامست جسدها البض خيوط الشمس لتهشم كوابح الحصار وهي مطوقة بكل اسيجة التيه، هي وبنات جنسها، وهذا لعمري أبهى ما يكون عليه تطويع الذات المحاصرة لطرد الشائن والمهين وفتح مسارب جديدة من الفرح والانعتاق بمغامرة شعرية قد تنفرد فيها شاعرتنا، بلقيس حميد، وبضراوة الواثق من الانتصار.

توظف الشاعرة لغة مائعة، مندوفة بتنهدات الباحثة عن لحظات تتوحد فيها مع الفارس المجهول، إلا في خيالها، لغة شجاعة وعنيفة أحيانا، تلك هي صرخة الولادات الرافضة لكل أنواع التدجين، وهذا أمر طبيعي من امرأة تنطق بأفواه نساء الكون، لتحطم تلك التابوهات الغبية والمذلة.

أليست الكتابة هي صرخة ضد حالات التشظي والالغاء وادانة وفضح الراهن الرث بكل بلاويه ومساوئه؟

تومئ لفلسفتي بالاحتراق

رجل من عسل أنت

كيف لي ألا أعبدك
وهل أعبدك
وأنا الرافضة لكل وثن (ص 6)

حتى وهي تنزع في البحث عن فارسها السديمي والهائم في مفازات الضياع، والحياة المرة، لا تنس أنها مخلوقة لها خصوصيتها، برغم وداعتها، كونها كائن شفاف وطيّع، لكن ما أن تحس أن زحفا مرائيا سيحيلها لجارية، لتفريغ نزوات شبق، وتمتد نحوها يد المهانات، تنتفض بقوة لتكشر عن أنيابها وتُظهر مخالبها، بذات الشراسة في الحفاظ عن صيرورة اللحظة، لطرد الريح الصفراء، رافضة تسليع جسدها لأي وثن كان.

ديوان الشاعرة بلقيس حميد حسن هذا، تجربة لا مثيل لها من بين المنجز الإبداعي النسائي، الشعري منه تحديدا، لجرأة التناول بلغة معجمية ماكرة، ولكنها مليئة بالصدق والمكاشفة والبوح الآسر، للوصول إلى ذلك الحلم لنيل من تهوى، أمير أحلامها لتمنحه ذاتها الشاعرة، جسدا وروحا، بأحلام الملائكة. وعطاء القديسين.

مسكين أنت
تستغيث بالعرّافات
ولا تقوى على التصريح

لم كل هذا العناء؟
هل هو خوف من الغرق
أم خوف من اللا غرق؟ (ص 56)

هذا هو التحدي بعينه، حين تدافع عن بنات جنسها بهذه القوة والثقة المتناهية، دفاعا عن الكينونة غير القابلة للمساومات والمداهنة الفضة، لترغم حبيبها أن يهيم هلعا ووجدا ولا يتوان بالاستعانة بالعرافات وهو آخر الكي، لكون أنثاه عصية على المهادنة والتسليع.

قصبة خضراء أنا
بقسوة كسرتها
كان الألم عظيما
حين التوت رقبتي إلى جهتك
قبلته بحنو
وفاضت رائحة التفاح (ص34)

توصيف في غاية البهاء بصور شعرية تغزو أعماق القارئ، وكأننا أمام قصة حب رومانسي، لفلم يصور حكاية حب عذري ليافعَين بطراوة النرجس، القسوة هي القسوة والوداعة هي الوداعة، ورغم الألم العظيم لهذه المخلوقة الندية، لم تنس أنها خزين من الأحاسيس والمشاعر وتبقى لغة التسامح سر وجودها.

هل من وفاء أكثر من هذا؟

نلاحظ هنا أن الشاعرة توظف في المقطع الواحد ضمائر مختلفة لتمنح النص انتقالات تفيض بالحنين وبحضور شعري ينم عن دربة شعرية وقدرة على امتلاك أدوات العارف بسر الكتابة ودهاليزها، بتفنن وقدرة وتمكن، مما يمنح مسرة القراءة القا أكثر. لجوء الشاعرة إلى كتابة قصيدة التفعيلة وكأني بها تتقصد هذا، لتزين الديوان بهذه النصوص بموسيقاها الرافلة بالأنس والعذوبة المأسوف على غيابها في المنتج الشعري الراهن.

ونحن نغادر هذا الترف الشعري الفاتن، نتمنى للشاعرة المبدعة بلقيس حميد حسن دوام الالق والبهاء، لتغْني المشهد الشعري العراقي عموما والنسوي على وجه التحديد، بالمزيد من الابداعات القادمة لرفد المكتبة الشعرية بالجديد من العطاء المبدع والمميز، وأرى شخصيا أن الشاعرة ستحقق هذا الأمل لقدرتها في امتلاك موهبة الكتابة الشعرية بشكل لافت ورصين.

الديوان: أجمل المخلوقات أنت

من منشورات ميزوبوتاميا

الغلاف من انجاز دار صفحات دمشق

يقع الديوان في 112 صفحة

يحتوي على 51 نصا شعريا

ويتضمن الديوان السيرة الذاتية للشاعرة يغطي نبذة عن حياتها وأهم اعمالها الشعرية والجوائز الحاصلة عليها.

فراس عبد المجيد شاعر

يخرج من ركام الأزمنة المرّة

من الطبيعي أن يشكل حضور المبدع الفاعل في المشهد الإبداعي رافدا هاما لإغناء التجربة الإبداعية بشتى أجناسها، فتتعدد التجارب من حيث الكم والكيف، وصولاً إلى الصورة التي يرومها المبدع، وتحديداً بالنسبة للمتابع الفطن الذي يلتقط الهم الإبداعي بعين راصدة، والمشاركة في إثراء تجربة المبدع، وكشف الهنات التي قد تشوب العمل لتجاوز المثالب غير القصدية التي قد يقع فيها مبدع النص، وهنا تكون المشاركة الفاعلة تحقيقا للهدف الذي يسعى إليه الطرفان، مبدعاً وقارئاً نديّاً للعمل. بمعنى آخر أن المبدع يمارس دوراً تحريضياً للمتلقي، ليحفزه على التفاعل العاشق للنص. وقد تقود هذه العلاقة إلى خلق حالة صحية يحتاجها المبدع لتهذيب التجربة، وكشف المثالب، وكما

يقول رولان بارت: (يجب على النّص الذي تكتبونه لي، أن يعطيني الدليل بأنّه يرغبني، وهذا الدليل موجود، إنّه الكتابة لتكمن في هذا، علم متعة الكلام، ولم يبق من هذا العلم سوى مصنف واحد، إنّه الكتابة نفسها".

وهكذا كانت علاقتنا بالمبدع الشامل فراس عبد المجيد، فناناً تشكيلياً، وصحفياً مرموقاً أشرف على البيت الثقافي للمبدعين الشباب، من خلال إشرافه على أهم منبر ثقافي في المغرب آنذاك، ناقداً صارماً، وعرّاباً حقيقياً لجيل بات يشكل ظاهرة في المشهد الشعري والقصصي والثقافي المغربي الآن. لكننا لم نعرف انه منتج لنص شعري بهي ولافت، إلا حينما فجّر مفاجأته الشعرية بإصداره ديوانه الأول الموسوم (نخلة الروح)

وبقدر ما يتعلق الأمر بمقاربات تقودنا إلى السبب الذي يجعل من المبدع الموهوب يلوذ بالصمت، ولا يبادر، كأقرانه من ذات الجيل، إلى الظهور، ما يجعلنا نواجه سؤالاً قد يتكرر كثيرا من جيل إلى جيل، ذلك أن أصواتاً شعرية ظلت خلف كواليس العمل الإبداعي برغم ما تكتنزه من موهبة متميزة. ولا نعرف السبب الحقيقي لعدم مزاحمة الآخرين ممن كان حضورهم على الساحة يشكل ظاهرة كانت تحبو في بداياتها، حتى امتلكت ناصية الكتابة، وأثبتت حضوراً لافتاً

ووازناً. ولا نتردد أبدا، حين فاجأتنا مبادرة المبدع فراس عبد المجيد، في أن نعيد ترتيب المشهد، لنعترف على هذا الصوت المتفرد، رغم صمته الخجول، قبل وبعد ظهور باكورته الشعرية الأولى. برغم أنني لا اعتبرها باكورة أو مولوداً وحيدا، بل هي خميرة تجربة ينبغي أن نحييها باقتدار، موهبة الشاعر الذي لازم الصمت طويلا، حتى قرر أن يخرج هذه الإضافة، ليرمم الشرخ الذي قد يكون وقعه أكثر علينا من إحساسه هو ذاته، حين نكتشف أننا أمام إمكانية شعرية ظلت بنأيها عن الظهور طيلة عقود من الزمن، تعتبر خسارة للمشهد الشعري العراقي إن لم يبادر الشاعر بهذا الكرم الشعري اللافت.

هذه المجموعة قد تخلخل الكثير من القناعات لدى المتابعين للأجيال الشعرية العراقية، من حيث عطاؤها ورفدها للتجربة الشعرية العربية والتصاقها من قريب أو بعيد بمن جايلهم من الشعراء، إذا ما علمنا انه ينتمي للجيل الستيني بذات الرؤيا والتوظيف والنفس الشعري والتخييل الفطن، ورغم أن هوة التباعد الزمني بين بوح الشاعر ومنجزه الشعري قد ناهز النصف قرن وما يزيد، لكن شاعرنا بقي أميناً لطريقة كتابة النص التفعيلي لتلك الحقبة الطويلة، وهذا يعني أمانة الانتماء، حيث بقي الشاعر يختزن بدواخله الهم الشعري لتلك المرحلة الذهبية بقاماتها الشامخة، كالسياب في أواخر حياته، وسعدي يوسف

وعبد الوهاب البياتي وبلند الحيدري ومحمود البريكان ... وغيرهم من الأصوات الشعرية التي أسست اللبنات الأولى لقصيدة التفعيلة، لتفتح منافذ للأجيال اللاحقة، وتؤسس لعتبات سهّلت كثيراً من مهمة من جاء بعدهم من شعراء على امتداد خريطة الشعر العربي، وباقتدار وشموخ وقوة حجة في المنجز، برغم مشروع التحديث الذي تعرضت له قصيدة التفعيلة.

فراس عبد المجيد شاعر بتجربة شعرية كانت تلوذ بالصمت، واكب فرسان الكلمة الشعرية الرواد، لكنه لم يطرح نفسه مشروعاً شعرياً إلا مؤخراً. ونحن لا نبالغ إذا ما قارنا النصوص التي تضمنها الديوان بنصوص كنا نتمايل طرباً عند قراءتها بموسيقاها ومتانتها مبنى ومعنى في بداياتنا الأولى. والغريب في الأمر أن تاريخ الإبداع منذ أجيال قد عرف ظاهرة المبدع الذي يظهر متأخراً لأسباب قد تكون ذاتية أو قد تكون موضوعية، وله الحق في تبرير قناعاته في ذلك، لكنها بالنسبة للقارئ تبقى قضية إبداع تحمل الكثير من الدلالات، ناسف لكوننا لم نقراها قبلاً، فتكرّم علينا، وأتحفنا بهذه التجربة التي أحيت بدواخلنا بهاء النص التفعيلي بعد هذا الحصار المخيف للكم الهائل من قصيدة النثر، حين اختلط الغث بالسمين، ليعيدنا الشاعر إلى ذلك الزمان الجميل، المأسوف على رحيل مبدعيه الحقيقيين، الذين كان لهم الفضل

الأكبر في أن يخطّوا لنا، بجهدهم ومثابرتهم طريق البداية الذي، وللأسف الشديد، تنكّر لهم شعراء اليوم بعنجهية وتعالٍ وعقوق، لكنهم، وبرغم كل شيء، يظلون المرجعيات الحقيقية لنا جميعاً.

نعم، فالشاعر فراس عبد المجيد ظاهرة ينبغي ايلاؤها ما تستحق من اهتمام. ونحن نسمعه بين الفينة والأخرى يعبر عن تواضعه، وكون تجربته الشعرية ليست بذات الأهمية التي نراها نحن عكس ما يدّعي تماماً، وهذا تواضع يثري كثيراً من تجربته، ونحن لا نعلم بأنه يحضّر لمفاجأة جديدة. فمرحباً بمفاجآته الثرية التي ستكون محط ترحيب، لتنصف هذا الشاعر الموهوب، وتعيد له شيئاً من البريق الذي يستحقه بجدارة. فقد اعتاد على التواضع برغم ظهور العشرات من المبدعين، ممن رعاهم شخصياً، وفتح كل ممكناته الثقافية لتبني أعمالهم حينما كان مسئولاً عن منبر ثقافي مغربي هام، فوضعهم على سكة الإبداع الشعري والقصصي، حين كان الملحق الثقافي لجريدة الميثاق الوطني البوتقة التي صهرت كل الإبداعات وفتحت منافذ بهية على الإبداع الحقيقي، بعد أن ساهم، بتبنيه شخصياً لهذه الأصوات، والسهر على توجيهها للانطلاق في عالم الإبداع والعطاء. نذكر بعضا من هذه الأسماء:

سعاد الناصر (أم سلمى)، الشاعر جمال الموساوي، د. جمال بوطيب، الشاعرة وداد بنموسى، الشاعرة أم سناء (نجاة رجاح)، الشاعرة والصحفية فتيحة النوحو، الشاعرة فاطمة الزهراء بنيس، الشاعر محمد احمد بنيس، الشاعر محمد أنوار محمد، الشاعر عمر بنلحسن، الشاعرة نجاة الزباير، الروائية والشاعرة أسمهان الزعيم، الشاعرة نادية يقين، الشاعر عبد الرحيم الخصار، الشاعر مصطفى ملح، الناقد محمد بوعزة، القاص محمد عطاف، الشاعر عبد الجواد العوفير، الشاعر نفيس المسناوي، الشاعر منير الإدريسي، والكثير غيرهم....

واعترافاً إنسانياً عذباً بهذا الجميل، يقول الشاعر الموهوب جمال الموساوي بحق المبدع فراس عبد المجيد:

"فراس عبد المجيد، بالنسبة لي ليس شخصا عاديا، فهو حين يتحدث يبتسم أيضا، وابتسامته تلك ابتسامة طفل ينظر بعين البراءة إلى الحياة. وعندما أنظر في أعماق قلبي أبحث عن الأحبة يكون فراس واحدا ممن يصعدون إليّ. وإذا كنت مدينا لصدفة ما كما أزعم، فانا مدين لها لأنها حملتني ذات يوم ووضعتني على مكتبه في جريدة الميثاق الوطني سوادا على بياض يبحث عن نفسه في زحمة الكلمات."

دلالات ومرجعيات العنوان:

نخلة الروح

هو عنوان ديوان الشاعر فراس عبد المجيد. والعنوان يحيلنا على ديوان الشاعر حسب الشيخ جعفر الموسوم (نخلة الله)، وهو باكورة أعماله أيضاً، لنعرف ما لقدسية النخلة، لدى المبدع العراقي على وجه التحديد، وللعراقيين كموروث ورمز لها مكانة مباركة. ولا ندري كيف حصلت هذه المصادفة، إذ أن كلا الديوانين هما باكورتا الشاعرين. الأول أرجع النخلة إلى الله، والثاني أحالها على الروح. ولكلا الحالتين مغزى أبلغ، وله من الدلالات ما يعزز تعلق أهل العراق ومبدعيه بهذا "الكائن" الرمز.

وحدكِ الآن
تسمقين كرمحِ
في خاصرة السماءْ.
كل الأزمنة هباءْ
ويومك التاريخ كله... (نخلة الروح ص39)

هنا يتضح ما للنخلة من معنى يتعدى المألوف، لتجمع تاريخ تلك البلاد القصية. إنها أرض السواد وأهلها الذين يعتبرون النخيل جزءً من

شخصيتهم وإرثهم وتكوينهم الإنساني الضارب في عمق التاريخ بعطائه وشموخه وثرائه.

للنخلة مكانة في حياة الشعوب، وكانت حاضرة بقوة في جميع الأديان التي مجّدتها الكتب السماوية بإسهاب في التوراة والإنجيل، وذكرت في القران الكريم في 21 آية:

فأنشانا لكم به جنات من نخيل وأعناب" (المؤمنون آية 19) وقال السرّي الرفّاء في النخلة.

فالنخل من باسق فيه وباسقة... يضاحك الطلع في قنوانه الرُطبا

وكانت النخلة تعتبر في حضارة وادي الرافدين، لدى البابليين والسومريين، شجرة مباركة تزين ردهات المعابد وعروش التيجان. حيث كان في معتقداتهم أن إله النخل يظهر على هيئة امرأة، فينتشر على أكتافها السعف كالأجنحة.

أما شريعة حمورابي في مادتها 59 فكانت تحرم قطع النخلة الواحدة وتغرّم الفاعل بنصف فضة، ويعتبر مبلغاً كبيراً آنذاك.

والنخلة تشترك مع الإنسان بسبع صفات، من أهمها قدرة التحمل والصبر، وعدم الانحناء. ومن صفاتها أنها تموت وهي واقفة. وهذه لعمري من صفات العراقيين. فلا غرو أن يوظفها الشعراء، ومن بينهم

شاعرنا فراس عبد المجيد في أعمالهم بهذا التعلق والبهاء، تيمناً وعشقاً وتقديساً للنخلة المباركة.

وكانت النخلة تعبد لدى السومريين متمثلة بعشتار. وحين داهم مريم العذراء المخاض خاطبها الإله:

هزي إليك بجذع النخل تسّاقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقرّي عينا." (مريم 23-26)

أما في العراق فتمثل النخلة رديفاً للوجود العراقي تاريخاً وإنتاجاً ومقدسات، ورمزاً لأرض السواد، فهي مصدر الخصب والنماء، وقد تعلق العراقيون بها، وباتت أنيسهم ومصدر فخرهم. وقد وظفها العديد من الشعراء في نصوصهم.

أما رديف النخلة، (الروح) كما وظّفها الشاعر في الديون كعنوان دال، فهي بدورها من مقدسات الوجود الإنساني وكينونته، وهي إفاضة للجسد تتحرك بإشراقات نورانية.

وقد وصفها ابن سينا:

"بان الروح تمنح الجسد المادي بواسطة النفس كل ما يتخيل ويفكر ويذكر"

كذلك أعطاها ابن القيم أربع مراحل:

الاحتضار

سكرة الموت
الصعود إلى السماء
البرزخ
وهذه التوصيفات تعطي للروح بعدا صوفيا أكثر منه ميتافيزيقيا.
وقد توفق الشاعر حين ربط النخلة بالروح لتكون أقرب إلى الوجع العراقي المر، وابلغ معنى لمأساة الإنسان العراقي بانكساراته وألمه الممض وروحه المعذبة. وعاد عنوان المجموعة رديفاً لكل النصوص التي سعى الشاعر من ورائها إلى تجسيد حقيقي لمعاناة الإنسان، حين تبقى سلواه الوحيدة فيما يحتكم عليه من رصيد بات من الذكريات، بعد أن سحقته عجلات القساة. ولكنهم رغم ذلك ما اجتثوا النخل، ولا انتزعوا روحه اللصيقة بالأرض، والمتجذرة مثلما النخل، الضاربة عمقاً وعشقاً بالأرض العراقية. وهذا الربط الفطن منح النص كثيراً من البهاء:

وحدكِ
توقظين الليل سميراً
ثم تسريان معاً
في غابة ضوء بعيد آتٍ
حتى انبلاج الجرحْ

أو انطفاء المدارات... (نخلة الروح ص39)

لنتأمل دقة الوصف والربط بين مفردتي النص، ورغبة الشاعر في أن يفتح مجسّات لتحريك نوازع المتلقي، ليقترب أكثر من وجده وانكساراته.

الديوان تتصدره مقولتان يستشهد بهما الشاعر، الأولى لأبي حيان التوحيدي "عجبي من لسان مفتون بالعبارة، وقلب تاه في أوائل الإشارة" بهذه الاستعارة يريد الشاعر أن يبلغنا حسه الصوفي الذي يطغى بقوة على متون النصوص.

أما المقولة الثانية فهي للروائي الكبير نيكوس كازانتزاكيس اذ يقول "إني لا أجد زماناً، ولا أجد مكاناً لكي ارقص. أنا على عجل" ليذكّرنا بالرائع زوربا وتعلقه بالحياة وجوداً وحباً وانشغالات.

إحالات غنية بالمعاني ليفتتح نصوصه بعد أن يخضعها لذات الرؤية والنفس الفلسفي المعبر.

الديوان موزع على أبواب، وكل باب يشتمل على مجموعة قصائد.

الباب الأول اسماه "تنويعات" يفتتحه بنصه الأول مكابرة:

كلكم بالعتمة العمياء

شعركم ملئ

وأنا...

شعري يضئ... (ص7)

لمن يوجه يا ترى الشاعر هذا الخطاب الشعري الذي لا ينتمي لصفة التكابر بل هي المكابرة للإفلات من ربقة الأسر ليكون الشعر منفذه للإحساس بآدميته، إنه يقينا يخاطب جمهرة الشعراء إيمانا منه بأنه يلتقي معهم على بياض الكلام، كونهم يكتبون بامتلاء أما هو فيكتب بإضاءات لتكتمل الصورة.

أما في نص "صدفة" فنقرأ:

صدفة

تخبو في فلوات الصمت أغانينا

وتنام على هدب الليل قصائدنا

يغفو في النجمات بريقْ

صدفة

يسكر تحت خطانا دربٌ

ويجن طريقْ... (ص7)

ليس بمقدور الشاعر أن يمسك بتلابيب الزمن الهارب واللحظات الفاتنة محطات قد يضيع فيها الإحساس بالوقت. فقط يريد أن يذهب بعيداً بتأمله للنفاذ من وطأة اللحظة القاتلة.

الوطن عند الشاعر يتوزع بين مقبرة وزهرة ليمون، كلمتان متنافرتان، ولكنهما في محنة العراق تكملان إحداهما للأخرى:

سيدتي تسأل عن وطنٍ

يتشكل في مقبرةٍ

يتجزأ في زهرة ليمونْ... (جنون ص8)

في نصه الذي يهديه إلى روح الشاعر بلند الحيدري تحت عنوان "طريق أغمات"، وهي قرية قرب مراكش فيها ضريح الشاعر المعتمد بن عباد، نقرأ:

كنت أدرى.

غير أن السيف في أغماتَ

مزروع على الدرب علامة

فانزوت في الصمت كل الأغنياتْ... (ص11)

يلتقي الشاعران بلند الحيدري وفراس عبد المجيد في حضرة الشاعر ملك الملوك المعتمد بن عباد في ذات الإحساس بالغربة والضياع والمكابدة وفقد الوطن، تلك القواسم التي عادت نشيد المراثي لشعراء العراق، لكون الشعراء الثلاثة يتوحدون في الفقد واليتم والشعور بالضياع ودفء الأرض.

في نصه" عازفة البيانو" يتوزع النص على صور تشكيلية برؤية فنان تشكيلي يزاوج بين الرؤية الشعرية والرؤية البصرية، ليمنحنا توليفة فنية على إيقاع آلة البيانو تتوزع على 12 لوحة:

مدّي لي
من همس الأجراس سماءْ
وانتشري
ما بين غيوم العمر فضاءْ
وحدك تمتلكين السمعَ
وُتمَتلكين به
وتردد نغمتك الأصداءْ.... (ص13)

في باب المجموعة الثاني (أل التعريف) لم تبرح أبدا صورة الإنسان العراقي بشموخه وتحديه للمحن التي كابدها، وما زال يعانيها، بمرارة الصابر والمتشبث بالأمل والضياء القريب.

يا لهذا الجبلْ
كلما داهمته السيولُ
استطالْ
كلما فاجأته الثلوجُ
اشتعلْ... (الجبل ص 19)

هكذا هو العراقي لا ينكسر ولا يلين، كالطود الأشم، جبلا يظل بوجه الأعاصير مهما عظمت.

العراق وطن الشهداء والضحايا والنكبات. والشاعر حين يكتب نصاً عن الشهيد فهو يجمع كل شهداء العراق دونما تمييز ليوحدهم في قدسية الشهادة:

ليته قال لي
انه راحلٌ باتجاه الأفولْ
ليت أن الفصولْ
غيّرت في مواسمها
كي أرى بوحهُ
شاحباً في المطرْ
كي تطل ابتسامتهُ
في اخضرار الشجرْ... (الشهيد ص20)

لا أدرى لماذا يحضرني وأنا أقرا هذا النص رحيل الشاعر العذب شعراً وقيماً، محمود البريكان؟ ألانه يمثل رمزاً لكل الشهداء الوديعين الذين رحلوا وتركوا وراءهم ذكرى طيبة واسى ممضاً وإحساساً لا يتوقف بالمرارة؟! شهداء العراق كلهم وديعة سماوية مقدسة، وبهاء ملائكي طاهر، مبدعين كانوا أم أناساً مغدورين.

ونحن نجول في بياض الكلام الشعري المطرز بالبهاء وبترف المنتشي، فكأننا نتحول بين أرخبيلات بعيدة لا بأرض جرداء، وباوقيانوسات تلفنا بها الأمكنة، وتعرّجات تكوينية نهتز لها حيناً، ونستسلم للهدأة حينا آخر، بقراءة العاشق الذي لا يمل تنوع التوظيفات ونغم الصياغات وموسيقى التلوينات الشعرية الطافحة بالمعاني والرؤى الباذخة.

في نصه الذي أكرم فيه الشعراء والذي أنصف بني جلدته، كون الشاعر دائم الاحتراق، ليهدي ما يبهج القارئ، وييسر عليه الطريق، حين يتحول الشاعر إلى شمعة تحترق لتضيء الطريق للآخر، تذكيراً بمقولة الشاعر التركي العظيم ناظم حكمت في هذا المنحى.

أطفأ في راح الكف سيجارتَّهُ
فاشتعلتْ في الروح الغاباتْ
أشعل عود ثقابٍ فوق الجرحِ
فأجّجَ في النفس الرغباتْ
اطرقَ صمتاً
احرقَ وقتاً
دبّتْ فوق الرملِ أصابعهُ
كعقاربَ تهجرُ ساعتَها

لتشيرَ إلى كل الأوقاتْ... (الشاعر ص22)

هكذا هو الشاعر في تضحيته في كل الأوقات، ليظل قبساً دائم التوهج والعطاء.

حين يتحول الإحساس بالألم إلى حالة غير مألوفة، يلتقطها الشاعر ليضفي عليها جمال الصورة وصدق المشاعر، بطريقة لا تخلو من التحدي.

سلني

عن وترٍ أسكتَ نبض اللحنِ

وظل أسيرَ النسيانْ... (السؤال ص23)

جميل ان يعود الشاعر إلى ذاكرة للأشياء المنسية، حين تعصف الأهوال بكل شئ، حتى تنسف خزين الذاكرة المعذبة.

انه المآل الذي يظل الشاعر يحتسي تأوهاته، حتى يظنه آتياً إليه، وقد يصدمه البحث حين يكتشف انه لا ينال إلا السراب.

من المعلوم أن شعر التفعيلة هو التزاوج بين المعنى والمبنى بتزنيمات راقصة، موسيقى ولغة وتوظيف شعري ملئ بالمعاني والصور والخيال، خلافا لما وصل إليه الشعر في كثير من حالاته حين تحول إلى تكوينات كولاجية خالية من القيمة الشعرية الحقيقية. وهنا ينبغي التأكيد على أن كل شعراء التفعيلة من القامات المعروفة قد مروا من هذه التجربة،

وتحولوا لكتابة النص النثري أمثال ادونيس وسعدي يوسف والبياتي، وحتى محمود درويش في كتاباته النثرية المتميزة، وغيرهم من الشعراء. أما شعراء قصيدة النثر من الأجيال اللاحقة فهم غير قادرين، وحتى أنهم عاجزون عن كتابة نص تفعيلي واحد لجهل معظمهم بالبحور الشعرية، وهنا تكون مرجعياتهم ناقصة، ونصوصهم هشة في غالب الأحيان. ولا يسعنا إلا أن ندافع عن هذا المبدأ، إذا ما أريد للنص الشعري أن يمتلك مقومات نجاحه، ويظل الشاعر يتباهى بما ينجز وما يحتكم من مخزون للتمكن من الإلمام بكل أدوات الكتابة الشعرية الموفقة.

رسمتَ فوق الشفة الغضبى

ابتسامة الرضا

جلجلتَ في الحناجرِ

التي أخرسها الصدا

قهقهة استحسان.... (المهرج ص25)

يتقمص الشاعر كل الأدوار، ليقرأ بحكمة العارف، كيف يندس بخفة إلى دواخل المتلقي، ليفهم فضوله ومكنونات أعماقه، ويقرأ ما بداخله من هموم وحالات مرتبكة، تحتاج إلى خلخلتها لتنفرج أساريره،

وينتشي ألقاً، ليخلق مصالحة بدل الجفوة التي باتت الآن سمة القارئ بينه وبين الشعر.

الأم بصيغة الجمع، أمهات العراق اللائي كن الشريحة الأكثر إيذاء وتحملا وعذابا ووجعا يوميا، هن اللائي ما توقف نحيبهن ولا عويلهن، وهن يعايشن كل لحظة انتكاسات أولادهن وأزواجهن وبناتهن وأحبتهن، ويتحملن أوزاراً لا يطيقها أي كائن غيرهن... يفرد الشاعر المبدع فراس عبد المجيد لهن حصة موجعة اعترافا لهن وما تحمّلن من أعباء وظلم وضياع وخسارات لأعز ما لهن، جراء الحروب والمغامرات وموت الضمير الإنساني إزاء ما لاقاه بشر العراق المنكوبون.

ما أجملكن

تنثرن بقايا العمر نجوما

تلألأ فوق شفاهي الظمأى

مطرا بلوري القطرات.... (الأمهات ص28)

إنهن جميعا أمهات الشاعر، دونما تفريق بين من أرضعته من حليبها المبارك ومن شاركن نحيبها لفقد اعز ما تملك.

إنه نشيد يتجدد في كل لحظة في دواخل الشاعر، ليحس بكينونته كي لا يتشظى ويتحول إلى عدم، ليظل لصيقاً بأرضه ومن يحب، حتى وان

كانت مجرد أحلام بعيدة المنال، وتبقى الأم الأمل والدفء والحنان والخير وأنقى القيم، حمّالة الأسى، برغم عوادي الزمن وعجلاته التي سحقت كل شيء في العراق الذبيح.

ما أقساكن

تعلقن اهابي

جدثا تقتات به غربان عورٌ

فوق أنين دعاءٍ

يتردد تمتمة خافتةً

في الصلوات... (الأمهات ص28)

تظل مباركة تلك المخلوقة الندية مصدر الحب والعطاء وينابيع الحنان. للأصدقاء حصتهم في توزيع الشاعر وفاءه لمن يحب، وها هو الشاعر المغربي المبدع عبد السلام بوحجر صاحب القصيدة المشهورة (عزف منفرد على وتر الهاء) وهو شاعر تفعيلي بامتياز، يحظى بلفتة وفاء من الشاعر فراس عبد المجيد بتوظيفه واو القسم في كافة جمل النص الشعرية تأكيداً على صدق المشاعر ومودة التعلق.

والتمر والزيتون

وصمت هذا البلد الحزين

وكبرياء جرحه

وتينة تفتّحت
وانفلعت
تلسع ثغر شاعر مسكون
بالجن والدهشة والعجب
والطمأنينة في بياض غيمة
تنساب في سكون
لن انحني
لغير نخلة تكبر في الروح
ولن أخون... (القسم ص32)

هكذا هو ديدن الأنقياء من العراقيين حين لا يحتكمون في حياتهم سوى على الكرامة كأغلى قيمة إنسانية لا يمكن المساومة عليها أو التفريط بها.

في باب آفاق نثرية، يرحل الشاعر من النص التفعيلي، ليكتب لنا نصوصاً رائقة. وبتمكن العارف لأدواته، وثقته بصلابة التجربة التي يحتكم عليها:

اعرف
اعرف من تكونين
نجمة ترسم لي كفي

نجمة تطلق أصابعي... (من تكونين؟ ص37)

أمر في غاية المتعة أن يتحول الشاعر إلى فراشة ليتحرك بحرية، متنقلا بين رحيق الأزهار، ليلتقط العبق الأنثوي، مثلما المحارب الذي يبحث عن لحظات من الاسترخاء، بعد أن استنزفه البحث عن أنفاس جديدة. انه البحث عن منفى داخل منفى. تلك هي الغربة الحقيقية والإحساس باليتم والضياع وفقد كل جميل... كيف ذلك؟!!

إن الشاعر بانكساراته اليومية، وهو في أعمق الإحساس بفقد الوطن، يبحث عن منفى يقيه لفحة الوجود الإنساني المضطرب، فلا يجد إلا أن يدس روحه بنخلته الأمل، لعله يشعر بالأمان حتى وان كان أماناً زائفا لا يعدو كونه سراباً، ليمسك بالأزمنة الضائعة، والتاريخ المنفلت، والبهجة الفاترة، والعمر المنكسر على مرايا الحلم والاحتياج لحنان الأنثى." لذة لا تعرف الانطفاء"، سمر لليل الحزين في مدارات مفتوحة على امتداد الوهم.

التّفت في دفء لحائك

أفاعي الفردوس

التّمت النجوم عند طلعك

تحضنين بحنو

أصداء الريح المحملة شجنا

ففاحت رائحة الفجر

وتكسري بروقا

لا تنطفئ

ثم...

انفيني فيك... (نخلة الروح ص40)

هكذا يريدها وهجاً، عروشاً، دفئا، شهداً، دماء للقرابين، قمراً كهنوتياً، طلعاً للنجوم، رائحة للفجر، سلماً للروح، حنواً، شجناً ونواحاً، مطراً وبروقاً، لتظل النخلة ملاذ الشاعر الأخير. ولا اختيار سواه.

في باب حواريات ثلاث قصائد هي: حوار أول-أغنية حب-حوار متأخر.

أما في الباب الأخير فيضم النصوص: رثاء الظل-شموس-التحول.

ينزلق الظلان على الإسفلت

خفيفين كهمس الموجة

ينفرشان على العشب الرطب

فتسري في خضرته المبتلة

رعشة وجد

فينتفض الظل الأوحد

يحتضن تقوسه
يحتضن اللون
الكون
البون الشاسع
والى شرفات الفجر يطير... (التحول ص60-61)

معاً، شاعراً وقارئاً نودع هذا الغدير الشعري الوارف، وبحسرة أقول ليتني أظل في حضرة النصوص الثرية تدثرني بدفئها اللذيذ ولا أجمل من الشعر الأبهى دثارا.

إنما الشاعر كأني به يخرج من قفصه ليبحث عن ثراء جديد من مملكة الكلمات، ليتحفنا بجديده الشعري الذي نبقى ننتظره، كما الإشراقات المجنحة والبهية لنلتقي ثانية في بحبوحة شعرية وارفة.

الشاعر ستار جبار الدراجي

في ديوانه الجديد الرصيف العاري

باجتهاد ومثابرة يحث الشاعر ستار جبار الدراجي الخطى بمساراته الشعرية صوب بهاء الكلمة جامحا مثلما الجياد النافرة في شعره بمغامرة لا ريب أنه قد أفرد وقتا وجهدا لتأسيس عالمه الذي يتفرد به ليغاير الكثير من التجارب لمحايليه، من حيث إبحاره الصعب في بهاء الكلمات الفاتنة، معجمي لا شائبة في توظيفاته اللغوية، من حيث صفاؤها وألقها بحمولات شعرية تعج باللقطات الفائقة الصفاء، كأنها مشاهد هيئها للفرجة السينمائية. مبهر في وفائه للكلمة ليمنحها ما تستحق من ألق بموسيقى لا يلتقطها إلا الفاطن بسلامة الإبداع ونقاء اللحظة.

فالشاعر ستار جبار يؤاخي بين الصورة وعطر الكلمة، ببوح خافت أحيانا وهادر في دواخل الشاعر أحيانا أخرى، ليخرج لنا حلة شعرية

بألوان زاهية وبمسارات من المداعبات المركبة لغويا وهي تمر بمحطات يتداخل فيها الذاتي بالكوني لتتشح أحيانا بأردية رمادية، وهنا تكمن مداهنة الشاعر، لا بمنحى التعويم اللغوي الباهت، بل بترتيب يتداخل فيه الذاتي بالموضوعي المشاكس أحيانا، تجر الشاعر عنوة أو بمحض إرادته إلى مديات تتوزع بين الألم والمسرات حتى وإن كانت المرارة شارات تتكرر كثيرا في متون النص، بمؤامة مع فرح العابر.

كقارئ لتجربة ستار جبار الدراجي، أراه شاعر الألم والأسئلة الفاضحة للراهن من الفواجع، يحاكي من خلالها الذات الكسيرة، والأمكنة، والآخر، بكثافة شعرية وجموح لغوي وبتعامل فطن ومتوازن، ما أن تلج عتبات مملكته الشعرية ينتابك ذلك الإحساس بالمرارة والأسى، لكونه يحث المسار بتؤدة وبأدوات العارف بدهاليز الكتابة الشعرية التي تعج بالحركة والصور والتناول بتوصيفات معجمية تغلب عليها المواجع والإحساس بالضياع، دون أن يغرق في السوداوية القاتمة.

ولا غرو في ذلك، فهو شاعر لصيق بأرضه وناسه، يحمل أوزارا تطّبق على أنفاسه لقسوتها بسوداوية تنز أسى وحرقة، ولا من سلاح يخرجه من كبوته غير التوحد مع اللحظة الشعرية والتي تشكل له ملاذا للإفلات من ربقة المحاصرة الظالمة.

إن ستار جبار الدراجي شاعر مبهر في وفائه للكلمة وموسيقاها التي تتوزع على البياض لتشكل عالما يمنحك الاطمئنان بان الشعر العراقي ما زال بخير، وهذه الأصوات الجادة والمثابرة في وفائها لديمومة المشهد الشعري الذي بات مهمة إبداعية وأخلاقية لا مناص من الوفاء لها والحرص على دوام توهجها، رغم حجم الانهيارات والخسارات الكبرى لمحن الأرض والناس التي ما توقفت يوما.

إن شبابا مبدعين نذروا أنفسهم لهذا الجنس الاحتفالي، معتبرين أن التعلق به وبرفده بالجديد ومواصلة توطيد العلاقة مع بهائه الدائم. مسألة تحد كياني لا محيد من العيش إلا به وله، سيما حين نعايش لحظات من الوجد والفرح الطفوليين تحاصر الشعراء الشباب وتمنحهم لحظات آسرة لحظة يحفلون بمولود شعري جديد، أو نشر نص على منبر ثقافي، وهذا ما نعيشه فعلا ونحس بسعادة غامرة نحن جيل السبعينات وما بعده، حين يعود الألق الصادق والنقي للوجود الإنساني مصدره الشعري ولا شيْ سواه، ونحن وسط اختلاط الأوراق بين الدربكة السياسية والتكالب من أجل الاستحواذ على أموال مصدرها فاسد وغير شريف، لنميز بين حالتين من الفرح، احدهما رث وموبوء، ذلك هو الجري وراء الجموح الفظ نحو الطمع الفاسد، وبين فرح النقاء الإنساني حين يمتلك الشاعر رصيدا لا ثمن

له، ذلك هو كنز الإبداع وما يحتكم عليه من خزائن دائمة هي أسمى من الثراء العابر. وتلك هي المفارقة الغريبة في الحالة العراقية الراهنة، مثلما هي موزعة على جغرافيا الإبداع العربي بحالات متفاوتة.

"الآن يمكن لمعطفي ارتداء جسدي"

لماذا الشاعر يختار هذه اللحظة لارتداء معطفه ذلك بسبب:

الهذيان في الشارع

"المكتظ بالمسامير..." (مسامير الوقت) ص3

الصورة الشعرية هنا تشي بالكثير من المعاني لما تحمل من متناقضات قد تشكل محنة للشاعر وما يعانيه من محاصرة لا يعرف خلاصا لها.

أصرخُ أيها الضيم

أغرِق كل شيْ

إلا تلك الجنازة المرمية

عند رصيفها العاري (الرصيف العاري) ص4

ينقل لنا الشاعر بقراءة شعرية ممضة، المشهد العراقي المرير حين ضاقت بالناس حتى الأرصفة وهي عارية، ولا من ملاذ من وطأة الضيم الذي راح يعشعش في تفاصيل حياة البشر المنكوبين.

ألا يجد معي القارئ، إلى أي مدى تتحول حياة الشاعر إلى جزء من الخراب الشامل ليتحول إلى إرث لا فكاك من عذاباته القاتلة؟

كيف سأرتدي ثيابي
الدموع التي عهدناها غرقت
الغسيل جفّ...
شاخص يحدق منذ يوم الرصاص
الأوزُ هجر السطوح
حرث طريق المؤانسة (نهاية) ص19

كيف لشاعر أن يتعامل مع اللحظة الشعرية فائقة التوحد مع المكان والزمان ودواخل الشاعر بغليانها وفورتها وهو في هذه التفاصيل من المحو التي تترصده كبقية أبناء جلدته؟ أليست تلك حالة تبدو ضربا من المستحيل لإنتاج نص يتحرر الشاعر من سطوته حين يسطره على البياض ليعود جزءا من المؤانسة العذبة وهو حبيس قدره اللعين ومخالب الموت له بالمرصاد، تضادات لا يمكن فهم كنهها إلا من خلال الغور في متون النص.

تختفي الخطوات في الضباب
تتلاشى واهية
الأحاسيس تفر مذعورة
من ردم مرافئ الحنين (غرقى الدموع) ص53

لا نجد في كل النصوص تباشير فرح أو حالة من المداعبات التي ترطب لحظة القراءة بانسياب رومانسي تحرر القارئ من سوداوية اللحظة إلى معايشة أكثر بهاء وتحررا من هذا الدمس الغالب على النصوص، وهذا أمر له ما يبرره حين نشخّص الوجع الذي عاد سمة لصيقة بالعراقي حتى نسى الفرح، فماذا إذن عن الشاعر الذي يلتقط الحالات اليومية بمجسات شديدة الإحساس بالمعايشة لهكذا حالات مريرة.

لماذا الرصيف العاري؟

خطاب مفتوح لكل من تابع كوارث العراق ومحن الناس والضيم الذي بات جزءا من تفاصيل وجودهم، ولا نقول الوجود الإنساني لأننا بهذا التوصيف نكون قد شوهنا حقيقة العذابات المريرة كسمة لوجود المخلوق العراقي، الذي نستغرب كل هذا الإصرار في التشبث بالحياة رغم الزلازل التي محقت به طيلة العقود الأربعة الأخيرة، وما زال في ذات المواجع يواصل العيش بإصرار مذهل.

من هنا اختار شاعرنا الدراجي هذا العنوان للديوان كتعبير يشي بحقيقة ما يعانيه العراقي، درجة أنه لم يجد حتى الأرصفة العارية لتؤويه من شتاته وضياعه المتواصل، وهنا تكمن فطنة الشاعر في محايثة الحالة

العراقية لتوثيقها لهمٍ حقيقي، لأنه لا يملك من أسلحة بمكناته غير نقاء الكلمة وبهاء الموقف الإنساني والانحياز للمظلومين من بني جلدته.

وكديدنه في ديوانيه السابقين:

- حينما أستنجد بالوهم
- موائد الرماد

ينحو الشاعر ذات الخطى في رسم مواجعه الشعرية ليؤسس له مسارا قد يغاير العديد من مجايليه، وقد يلتقي مع آخرين.

أن الشعراء بهذه التركيبة الشعرية التي تسعى لأن تتكامل مع التجارب التي سبقتها وتنهل منها باعتبارها مدارس شعرية لها دربتها وعالمها ووضعها الاعتباري الوازن حتى للمشهد الشعري العربي برمته، ونجد أن من الضروري والمهم أن يشذب الشعراء الشباب تجربتهم من الكثير من الهنات الشعرية التي نجدها مقحمة هنا وهناك، مما يضعف رصانة العمل لتجاوز الهفوات بالإكثار من القراءات الشعرية لرواد لهم من التجربة واللغة والخيال والتوظيف المعجمي والتناول والحبكة الشعرية ما يجعلهم يتحصنون كثيرا من بعض الشطط والنشاز الذي نلحظه في نصوصهم بين الفينة والأخرى.

إننا في الوقت الذي نحس بأن الشعر العراقي لا زال بخير ولا خوف من حصول هبوط في مستواه أبدا، بل نجد أن الشعراء الشباب يجتهدون

وبرؤى شعرية أغنت كثيرا التجربة العراقية وأضافت الكثير من خلال ظهور أسماء لها اعتبارها الإبداعي الثر والمفرح وبمواهب مذهلة، نتمنى أن يظلوا في التجربة الشعرية العراقية المميزة ويبتعدون عن التشتت الشعري الذي نلحظه هو الطاغي في تجارب شبابية في الوطن العربي، حيث من الصعب أن تميز عائدية النص، ومكان إنتمائه، والمشهد الذي يحرث فيه إبداعه.

في حين أن من سمات الشعر العراقي التعرف عليه دونما الإطلاع على مبدعه من خلال كونه من ذات المنهل الشعري بمعجميته، وتوظيفاته، وتفرده، ونفَسه، وطغيان التمكن الإبداعي الذي يغاير إلى حدود كبيرة بقية التجارب العربية الأخرى.

وديع العبيدي في ديوانه:

يوثق للخسائر الكبرى لضياع الانسان امام سلاطين الجن

تمكن الشاعر وديع العبيدي ان يخطو بالشعر مرحلة توثيقية جديدة لمشروعه الفكري بهمومه الابداعية الكبرى كونه ما فتئ يقاتل بكل ممكناته لهذا التأسيس البهي متحملا مشاقا لا حصر لها، إن على مستوى المغامرة الابداعية المحفوفة المخاطر أو النزيف المادي دونما عون بعناده في الاستمرار في اصدار مجلته الرائدة "مجلة ضفاف" كونها بوتقة تجمع أسماء جل مبدعي المنافي والمحاصرين داخل بيت العنكبوت وكل الاقلام الرافضة للمهادنة وبيع الذمم وعلى نفقته الخاصة دونما عون، فقط يريد من هذا الفعل الخير تجميع الاحبة مبدعي الشتات مع المبتلين بحصار الفاشست في الداخل، ولا يهدف من وراء ذلك الا عشقه للإبداع الجاد وتجميع ذوي الكلمة البعيدة عن التدجين، ليغاير المنابر المشبوهة مدفوعة الاجر، المتبجحين بوقاحة بصدق الكلمة الحرة وهي

منهم براء ، ظل السؤال الحارق: لماذا لا نلجم هؤلاء المتشدقين بإمكاناتنا المتواضعة، ولكن بنقاء السريرة وتسويف الاقلام المأجورة ؟ فكان له ما اراد رغم هول المهمة...

يطل علينا المبدع العبيدي بديوانه السادس في مسيرته الشعرية الحافلة بالعطاء عنونه:

"منفيون من جنة الشيطان".

يحتوي الديوان على تسع وثلاثين نصا موزعا على 185 صفحة من القطع المتوسط من إصدار الحركة الشعرية في المكسيك التي يديرها المبدع قيصر عفيف، تحمل نصوص الديوان عناوين هي بمثابة إحالات لأمكنة واسماء تاريخية واسطورية تضرب بقوة في عمق التأريخ العراقي المأسور.

في مدخله الاول للديوان، يختار الشاعر نصين أحدهما لشاعر بابلي قديم، والآخر مجموعة نصوص لأمرئ القيس، المتنبي، الرصافي وصالح عبد القدوس.

يكتب الشاعر تصديرا للديوان يفتتحه بقولة للراحل حسين مردان (لن احترم هذا العالم وفي الارض طفل واحد منكسر العينين)

وينهيه بقوله هو: (منفيون من جنة الشيطان، محاولة توثيق للخسائر الشمولية وانقلاب المعايير وضياع الانسان، انها نزيفنا وصراخنا كلنا نحن المهزومين امام سلاطين الجن ... وهزائمنا).

عنوان الديوان مركب من:

منفيون + جنة + الشيطان

والعراقي اللصيق بهمه اليومي إن كان مبدعا او يحمل هم القراءة الحارق، يحال الى تفاصيل هذا الثالوث الذي يعني الكثير له وللمنفي الكوني، انّى كان انتماؤه، وبما ان نصوص الديوان تتزين بعناوين لإحالات فاصلة وقطعية قبل الدخول الى فضاء القصيدة، كلها تتسربل بثوب الوجع العراقي وحسرة المنافي، تحرك في دواخل القارئ المبتلي بهكذا حالات شاذة، استعر لهيبها وما فتئ كذلك في ادق تفاصيل حياة المبدع العراقي المنفي، أيا كان نوع الاقصاء، لان النصوص ببساطة لا تستثني حجم العذابات التي كان يعانيها مبدعو الداخل، احساسا منهم بوطأة الخوف، فيحلمون بالهروب وهم على أسرتهم، هروبا يحررهم من وطأة اللحظة المخيفة وطقوس الموت المجاني، حين يتجاسر المبدع بكتابة نص قد يكون الاخير في رحلته الابداعية .

يجمع الشاعر العبيدي هموم مبدعي الجحيمين، يضعهم جميعا في سلة العذاب اليومي واسى الغربة، ليؤطر لنا نصا بإحالات مأسورة بقدر

العراق تأريخا وارضا وتراثا وبشرا، هم حصاد المحرقة حتى لم يعودوا صالحين وقودا لهذا اللهيب والمحو، لكن ثراء الجسد بعذاباته والفكر باحتراقاته، شكّل هذه المخلوقات الباهرة من جديد، ليستعيدوا من تراب الفناء دارة الخلق مرة أخرى، لافضين عناكب الموت لمصيرهم البئيس، فيعودوا هم ذاتهم تشكيل ارواحهم من ذات المنافي ليلجوا فردوسا اخر، وهكذا وبنفس الروح المتعاظمة في الثراء، يواصل المبدع وديع العبيدي الحفر في ذات المشهد المنكوب ويستعيد بطريقة المكيدة توظيف قصة آدم والاغواء الذي تعرض له بعد ان فتنته حواء بأكل التفاحة بإغواء شيطاني، فنفاه الرب خارج الجنة. ركّب العبيدي حكايته من ذلك الإغواء فكان النفي من الجنة بتحريض مقصود، لكننا نعاود ترتيبها ثانية لتكون: جنة (العراق) – شيطان (النظام الصدامي) – منفي (العراقيون)، بخلاف الشاعر الذي عن وبقصدية فرضتها الضرورة الإبداعية، يبدأ بالنفي ثم الجنة واخيرا الشيطان. ومهما يكن من جهد بذله الشاعر في توظيف قصة الإغواء هذه، تأسرنا هذه الفطنة في الربط بين ما شكّل ثرائنا الروحي والأخلاقي، وبين راهن الالم الممض، ليكون توظيفا خارج فذلكة الشعر وأحابليه، ليجد الشاعر ذاته دون سابق دراية، إنما باندفاع إبداعي غير مشروط بنوايا مخاتلة، ليشحنه بحمولات إبداعية صادقة، فأحال التمني الى فكرة،

والفكرة الى صياغة، والصياغة الى توظيف، فأخرج هذه التوليفة الفاطنة والذكية.

في نصه الاول (اقول كلمتي وامضي)، يخصصه الشاعر للتعريف بنفسه ليطل على القارئ بكوة من الحزن الشفيف: انا وديع بن عبد الهادي| لا آكل في وليمة | ولا أحضر قدّاس | وحيد في حزني | وغريب بين الناس...

يسترسل الشاعر في نصه بوصايا هي كشف لعوراتنا واعتراف بآثامنا، كأنما يريد الشاعر ان يعيدنا الى حالات الخلق الأولى، ويمرر يده على اجسادنا المتآكلة من القهر والاقصاء، لينهي رحلة العذاب هذه بحالات النفي والابعاد قسرا، إن كان نفيا جسديا بكل الهموم الإنسانية، ام تغييبا كيميائيا للجسد وتعطيلا عن مسيرة الحياة.

النصوص بعناوينها الصادمة وتفاصيلها المريرة هي صراخات تستنجد بنا نحن المنهكين، لان نفك أسار القسوة عنها وهي تنزف دما فائرا، هو الدم العراقي الشتيت بعد ان حولته طواحين الحروب والموت الى نقيض للحياة والتواصل.

يبتعد الشاعر كثيرا في هذه النصوص خلافا لسابقاتها، عن فذلكة الكلام وغموض المفردة بحالاتها التي تخضع لأوضاع القراءة المتعددة المسارب والتأويلات، ليضعنا على سكة واحدة، فيزيل عوائق الفهم،

وتعدد الاستنتاج، ليبني اسيجة غاية في الشفافية ووضوح الرؤيا، ويختزل المسافة اكثر، ويلج احاسيس القارئ المكتوي بلهيب الوجود القلق والدامي، ولكن بأسلوب فاطن يغازل جمال اللحظة الشعرية برؤى وخيالات لشاعر يعرف ماذا يقول ومن يخاطب، احيانا نشعر باننا امام تجربة جديدة بصياغات متمكنة تتحرك داخل النص، منافذا ورؤىً، هي بمثابة تقاطعات قصدية مع القارئ وبحميمية وعشق، ليضعنا في فضاء النص دون مواربة او اكتناه لا معنى له حال الكثير من التجارب الشعرية التي نقرأ، بل يطغى على نصوص العبيدي مداهمة القارئ بعفوية ودون طلاءات زائفة، نصوص تفكك دواخل القارئ حين يصبح جزءا من همها الواخز واشتعالاتها الحارقة.

ان جل النصوص ذات نكهة عراقية بمخزون انساني تتناول الصفحات المضيئة من تأريخ هذا البلد بكل انهياراته وانكساراته وازمة الخراب المتلاحق التي ما انفك يقاسيها بكل اوجاعها المريرة، هي اوجاع شعب ذاق الامرين من معتوهي السياسة ومحترفي الحروب القذرة، وكأنه قدر لعين ظل العراقيون يلعقونه ودون فكاك طيلة عقود المحنة.

فحين نطالع نصوصا مثل جلجامش طبعا | حمبابا طبعا | البصرة – سالزبورغ | وصية جلجامش | أوتو – نبشتم | وغيرها. نقف على محنة الشاعر التي هي امتداد لمحنة وطن.

ففي نصه وصية جلجامش يقول:

لماذا | خدعتنا يا جلجامش | لماذا خدعتنا.

التكرار هنا هو عتاب فائر وصيغة اشتعال لمأساة وطن وبيع الضمير وخيانة كبرى، فأنت الذي بنيت اوروك وزينتها تطردنا منها هكذا يا جلجامش وتجلس على خرابها؟ هكذا يريد ان يقول الشاعر. يريد هنا ان يوظف الحكاية امتدادا لراهن المأساة في العراق اليوم متمثلة بخراب اوروك رمزا للمكان المقدس.

أية نبتة | اية بحار | اية افعى | اية عشتار او أشخارا | اية مملكة | أي خلود يا جلجامش ...|

هذا الربط بين الحكاية وراهن الحدث بعد ان تحول كل مقدس الى مدنس والعامر الى خراب، يقعد الشاعر ملوما ويدعونا معه الى الجلوس على اطلال هذا الخراب الفاجع، تأريخ ملئ بالقتل وبشر عاجز عن صنع الحياة ولا شيء غير الخراب .

هذه المسارب التي يطل الشاعر من خلالها على قارئه والذي يتوحد معه في ذات الالم وذات المحنة، يبحث في هذه التوليفة على من يعاضده ويخفف قسوة الوجع المرير الذي بات ديدنا ولا فكاك من ربقته الى ما شاء الله.

تافهة هذه الحياة | يا ابانا... (جلجامش) ولا تليق بالقليل منا...

سوف نفعل ونفعل ما تريده | ونحن يأكلنا الندم والخيبة | أكثر منك.
الشاعر لا يختلف عن اقرانه مبدعي المنافي في ان يضفي على الديوان دفئا خاصا بإهدائه نصا الى المخلوقة الندية التي هي عالم الشاعر في الخلق والعطاء والشوق، الى حضنها الملاذ من بشاعة المعاناة فيبث شوقه ومناجاته لها ليشعر بآدميته ويعود طفلا يتجرد من كل ادران الحياة وقسوتها فهي الوحيدة في ان تمنحه الدفء والسكينة تلك هي "الام" أصل الحياة ومنبع الخصب وفيض الحنان،
الام هنا بمعناها الرمزي هي الارض والمحبة في زمن القشعريرة والصقيع الآدمي القاتل، ليسترد الشاعر أنفاسه، ويستجمع ممكناته، ليعيد الاتزان الذي يبحث عنه دون جدوى، والحنان الذي يفتقد ولا من مخلوق يمنحه كل هذا سوى رائحة الارض وهدهدة الروح "الام"، يعانقها مرة ومرة يغفو على حجرها والنشيج يأكله ولا يتردد حين يجد نفسه وحيدا في منفاه وغربته المرة ان يلتهم حفنة التراب من امه الارض، يتوسد حجرها ليعيد نشوة اللحظة الضائعة، لحظة انتشاء حتى وان كانت خادعة، تلك هي مأساة الشاعر:
أنت مثل زائر المساء | يبحث عن طعام ومبيت ودفء | ذلك انني احضرتك هنا | في لحظة النسيان | ولكن .... | طالما إنك لم تعرف الجواب | ولم تسطع الوصول | فافعل ما اقول لك: (ما قالته الام).

يزداد الشاعر بشوقه إحساسا بفراغ اللحظة، فلا يكتفي بحلمه الاول حتى يسح شعرا في حلم ثان لامه، نزوعا منه لمقايضتها بنصائح أكثر، لقاء طلتها، رؤيا من البياض الناصع، ليزيح ظلمة الاحساس بالمهانة، وتكتمل نواقص الذات اللاهبة:

ولكن لا تفعل ما تريد | لان ما تفعله يبقى لغيرك | وما يأخذه غيرك يدمره بحماقته .... | ثم تكون انت سببا للخراب. (ما قالته الام)

الشعر عند العبيدي هو محراب مقدس لكينونته، لا ترفا للذات الباحثة عن اللهو المجاني لفك طلاسم المحو قصدا، انه يجعل من الشعر ملاذا للفكاك من ربق الاسر اليومي القاتل، وهو ليس بالطبع ازاء ركوب موجة البريق المجاني، إنما هو يقاتل بكل ممكناته ليواصل ديمومة الفعل الابداعي ضدا على جدب الاقصاء وسادية التآكل، ليجدد مثل الارض خصوبته ويعيد حرثه ليخلق نسلا آخر مغايرا او مكملا لمحطته الاولى التي وطّدها منذ امد بعيد بخمسة أنسال هم خزينه من الابداع الشعري، ليتأبط وليده السادس بفرح غامر ليقول للعقم الفكري، شتان بيني وبينك ايها البور، فانا ارض معطاء تمتد من ارض السواد حتى ما وطئت قدماي، وهذا الفضاء الرحب ظل يانعا بالخصوبة والانجاب ولادة بعد أخرى، ولا بوح للاسى لكوني رهنت

اساريري بعبق الشعر وعبدت طريقي بأبجدية الفعل لا الركون للانتكاس والخيبة .

وتلك هي مجاهدة ظل العبيدي امينا لها لعمق تجربته الإبداعية، شاعرا وقاصا وناقدا برؤيا بعيدة عن الادلجة والتزلف.

والشعر عند العبيدي، تحديدا بلغته ورؤاه وعوالمه، البديل الموضوعي عن الوجود الحسي في فتوحات من الحلم والرغبة، جملته الشعرية عالم من الخيال المتجدد المليء بالرؤى والصور النابضة بالحركة والصياغات الهادرة معنىً ومبنىً بموسيقى تشعرك بإيقاعات متواترة، ولكن بانسيابية تغزوا وجدان المتلقي وتربك احاسيسه، دونما خدش في لذة القراءة والولوج في مملكة النص، تتحول العلاقة بين النص والقارئ الى توافق كلي مرة ومرة اخرى الى علاقة ندية، ويكاد هذا الامر يتكرر في نصوص ديوانه "اغنية الغبار" الذي استهواني كمنتج إبداعي فيه نفس عراقي صادق مما حداني الى ان اخوض مغامرة ترجمته الى اللغة الإنجليزية، وحال شروعي في العمل اصبحت جزءا منه تعايشنا معا لأكثر من عام في علاقة بهية وحالمة رغم المخاضات العسيرة التي واجهتها في تحويل النصوص الى لغة هي ليست لغتنا، ولكننا مررّنا النص وانا بلحظات من المؤانسة والود قد احتاج وقتا ليس بالقصير

لأخفف من وطأة اعتيادي اليومي مع النصوص التي احسستها جزءا مني .

ان وديع العبيدي شاعر مغاير لراهن الكتابة الشعرية التي تطالعنا يوميا، يريد ان يتطّهر بالشعر ويرش من بركاته علينا، ليزيح عنا عسف القهر اليومي وغبار العذاب والاحساس باليتم. كم جميلا ان تعشق وتحب، ان تتمرد وتعلن براءتك من عفن الاشياء الضاربة عنفا في تفاصيل حياتنا، ولكن بالشعر وحده نتطهر من سدر الاراجيف وضيم الانكسارات. ان الشعر ليس ترفا بل هو حالة وجد ولحظة نقاء ومكاشفة مع الذات الشاعرة.

وهذا ما يسعى اليه المبدع وديع العبيدي، شاعرا، قاصا، وناقدا.

رحلة مع شعر الهايكو الياباني

الهايكو نمط شعري ياباني خالد، كانت بداياته الأولى تنحصر في حدود اليابان ولا يتعدى حيز التراب الوطني، حين كانت اليابان تعيش عزلة كاملة مع العالم لظروف سياسية وقتذاك، لهذا ظل يعتمد على التجربة المحلية وما يلتقط الشاعر من صور ظاهرة أمامه وتكييفها في قالب شعري ونمط معروف ببساطته ومعجميته، لكنه يوظف ادراكات حسية ليست من السهولة معرفة قصدية الشاعر الذي يعتمد على اجتهاداته الشخصية وهو يعيش في حالة عزلة كاملة عن التجارب الكونية، مما يعني أن الشعب الياباني هو مبدع بذاته بعيدا عن مؤثرات قد تغني تجربته الشعرية الوليدة كما التجارب الإبداعية الأخرى في أصقاع العالم.

وفن الهايكو هو ربط فاطن بين طبيعة هذا النمط الشعري بكل مكوناته البلاغية والمعجمية وصوره الشعرية وعلاقته براهن اللحظة التي

تحيط بالشاعر او التي تستوطنه بعد اقتناصها بوازع حسي متميز، كونه من السهولة الظاهرة والبساطة في التوظيف وعمق المعنى وسلاسة التعبير لهذا الفن الخالد.

والهايكو شكل شعري ظهر في اليابان منذ قرون وله تاريخ طويل، إنه القصيدة ذات الوقع من فن اللغة، هدفها أن توحي بالمعنى والصورة والايقاع، إلى عاطفة وحالة نفسية، إنها بمثابة التدرب الروحي للتوافق مع الشاعر وما يحيط به، حين يعيش الشاعر في حالة سمو وانسجام روحي، إنها نتاج قرون من الثقافة، لا تكشف عن عذوبتها إلا للأذهان الخفية والقلوب المتيقظة، بعيدا عن التصادمات والتوقدات الكبرى، ولا للصراخ والموت، والدم.

قصيدة الهايكو هي بساطة، ورشاقة، وتعرية للجوهر، هي زهرة من حقل واسع، إنها الزمن المرصود للصمت، إنها فرصة ممنوحة لنا، لنحب كل شيء، ونتكهن بكل شيء، إنها ومضة خاطفة من ثلاثة أبيات من الشعر.

كان رائد هذه التجربة الملفتة الأول هو الشاعر "ماتسو مونفوزا" الملقب ب "باشو "1644-1694"، الذي يعتبر المؤسس والمعلم الأول لشعر الهايكو، الذي يعد بشكل عام الممثل الأكثر أصالة للعبقرية الشعرية اليابانية، وكذلك الشاعر بوزون "1715- 1783" الذي كان

رساما أيضا، وقد غادر قريته منذ طفولته إلى إيدو حيث تتلمذ على يد هايانو هاغين، تلميذ باشو، شاعر الهايكو الشهير، ولما مات معلمه عام 1742، غادر العاصمة ليعيش حياة التشرد والبؤس، وهناك شعراء هايكو آخرون لا يقلون شهرة، مثل عيسى، وكيكاكو، وسبانو. وغيرهم الكثير.

"من بين كل الأجناس الأدبية، ليس هناك أبلغ تمثيلا للطابع الوطني من شعر اللغة اليابانية (واكا waka) الموجود في أقدم مراجع اللغة، وقد كانت النظرة للشعر من خلال قصيدة (التانكا tanka) أو القصيدة القصيرة المكونة من خمسة أبيات (5 ـ 7 ـ 5 ـ 5 ـ 7) أو مقاطع، وهو المعبر الحقيقي عن الروح اليابانية، وكان هذا الشعر يسمى شعر "الزن" مثلما بقية أجناس ابداع الزن من حكايات ومسرح وتصوير وغيرها، وكانت قصائد الزن مكرسة للمديح أو لتفسير تعاليم بوذا، منذ عهد هيان (794ـ 1185) وكانت نصوص الواكا تماثل نصوص ال (dharani) المقدسة معتمدة على الماورائيات مما أعطى لليابانيين تصورا بأن لغتهم مقدسة.

وضمن النظرة التاريخية لشعر زن" الذي هو بدايات لشعر الهايكو الذي نحن بصدده، والأب الشرعي له، والزن هو سحابة نورانية،

اجتازت آلاف السنين، مارة بالهند، والصين، والتيبت، واليابان، واليوم في بلاد الغرب. مرتبط بالبوذية.

خرج هذا النمط الشعري من البلاط ضيق الحيز والمكان، للشارع الياباني، حيث أن اليابانيين يحبون الشعر بشكل كبير. وتحديدا الغنائي منه، ليستمر في تهذيب قصيدة الواكا عبر قرون من الزمن وبتشجيع من الإمبراطور الشاعر جوـ توبا. ومنذ نهاية القرن الثاني عشر، انتشر شكل القصائد المتسلسلة الترابط التي اسميناها قصائد "زن" لتتشكل من ثلاثة أبيات (5ـ7ـ5) مقاطع، سميت بالهايكو، أو بيتين (7ـ7) من المقاطع سميت أجكو، وجاءت هذه النتائج بسبب انقسام الواكا التقليدية. ولكن على نحو متواز للرنكا النبيلة، لتنسلخ منها الرنكا الحرة. وقد اشتهرت وسط جميع طبقات المجتمع الياباني، بمن فيهم الفلاحين. اندثرت كنتيجة لتطور النمط التقليدي الأشكال الأخرى، لتبقى قصيدة الهايكاي أو هوكو أو الهايكو هي الطاغية، ويشترط في هذه القصيدة أن توظف اللغة اليابانية فقط دون ادخال مفردات غريبة عليها، تنطوي على صور من الطبيعة وتصورات حولها بما يرتبط بها من طقوس وعادات ومخلوقات حية، وكانت تحتوي بالإضافة إلى الوصف الظاهر للعيان، معاني خفية قد يتعسر على القارئ الذي لا

يمتلك خلفية كافية بهذا النمط الشعري وتفاصيل المجتمع الياباني، رموزا، وعادات، وتأريخا، فهمها وإدراك مقاصدها.

والهايكو كان يسمى قبل ذلك ب" الهايكاي أو الرنغا" كما أسلفنا، وكانا أتجاهين تقليدين يعتمدان على فطرة الشاعر واجتهاداته الذاتية، معتمدة على البساطة في الصياغات، ولكن بنقاء ذهني ورؤية بصرية متميزة، وتأتي هذه الإضاءة على الهايكو، مؤسسة على قصيدة باشو المشهورة " الضفدعة" معتمدة على البنية الثلاثية للبيت الواحد لقصيدة قصيرة ومبتسرة تتكون من ثلاثة مقاطع و17 حرفا (5ـ7ـ5ـ) بنمط تقليدي بعيدا عن المتغيرات التي اضفاها شعراء لاحقون سعوا لتطوير هذا النمط الشعري الفاتن. ولكن باشو عمد جاهدا أن يترك لمساته الشخصية على نمط الموروث الشعري الياباني التقليدي، لتركيزه الذي بات موروثا شعريا لمن بعده من شعراء اليابان على الزمان والمكان، بتوصيف كل ما تقع عينه عليه، من خضرة ومياه ونبات وحيوان وجبال وغيرها، معتمدا على المتغيرات الفصلية، فهذا الشعر بنظري هو الوصف الدقيق للطبيعة بفصولها ومتغيراتها المناخية والزمانية ضمن مكان محدد، ولكن بتوظيفات ذهنية فلسفية عميقة تنسحب بطريقة أو بأخرى على تفاصيل الحياة المعاشة، لتتحول إلى نمط فلسفي من الصعوبة فهمه وفك اشتباك مفرداته، المؤلفة من صيغ بلاغية وجمل قد

تبدو للقارئ للمرة الأولى مفككة ولا رابط بينها، ولكنها في الحقيقة تحتاج الى ولوج حقيقي لمنظومتها المعجمية وطريقة الربط بين مكوناتها لتعمل كولاجا شعريا غاية في التوظيف الجميل الذي تختفي وراءه أفكار وقيم يريد الشاعر توصيلها للمتلقي، وأرى كشاعر عربي، أن هكذا نمط شعري يحفز بقوة قارئه أن يشارك الشاعر من قريب أو بعيد في صياغة النص ولو نظريا، وهنا تكمن قوة وفتوة هذا النمط الشعري الدائمة والباذخة حقا.

وأجمل تعريف لهذا الفن أجده على لسان الشاعر الأمريكي جاك كيرواك، الذي اهتم كثيرا بالهايكو وأصدر ديوانه الشهير الذي أسماه "كتاب الهايكو" مبتدعا الهايكو الأمريكي الذي لا يبتعد عن الهايكو الأصلي، بتزاوج فن البوب والبلو وغيرها من صيغ الشعري الأمريكي الأكثر شعبية مع فن الهايكو، حيث يقول:

"الهايكو هو أن تُبقي عينيك ثابتتين على الموضوع، والهايكو الأفضل يمنحه الإحساس القادم من النظر إلى رسم عظيم، مثلا ل (فان كوخ) بفعل قوة النظر. وكيرواك معروف بشاعريته المميزة في فن الهايكو، التي اعتبرها النقاد إضافة وحافزا لبقية شعراء العالم ممن يعشقون هذا الفن، أن ينحو منحاه، حيث أنه بفطنته الشعرية المعهودة، وظف في قصائده: الفصول، الريح، الغسق، الفجر، الضباب، الطيور، الجداجد،

القمر، النجوم، كلها تناسخت مع رؤاه المعاصرة إلى جانب تقنيات الهايكو التقليدية.

فحين نأخذ هذا المقطع الشعري الجميل:

بركة ماء

نطة ضفدع

صوت الماء

ثلاث جمل شعرية يبدو أن لا رابط بينها، ولكن حين نذهب بعيدا في فهم الصور الشعرية بتوظيفها المعجمي يمكننا أن نعمل كولاجا شعريا نتوصل من خلاله إلى مقاصد الشاعر الذي لم تكن قصيدته اعتباطية، بل بصياغة ملتبسة قصدا، تتوزع بين السكون والحركة وتوظيف المحسات الحسية للضفدعة، لتتحقق فكرة فلسفية بكل تداخلاتها الذهنية الخالصة، وهكذا بقية النصوص الشعرية، لنؤكد على ما ذهبنا إليه من أن المتلقي هنا يصبح شريكا قريبا للشاعر في صياغة نصه.

ويمكننا أن نضيف توصيفا أدق من ذلك:

أن الزن وبالتالي الهايكو، هو سلوك ذهني بطرق مختلفة تماما، لإدراك الواقع المحيط، ذلك أن الشاعر يرى الشيء عاريا ومجردا، دونما سابق معرفة ذهنية، ودون تشويش أو انفعالات، مثل زهرة، حجر، حيوان، كائن ملفت، طير، أو ضفدعة، كما جاء في نص الشاعر باشو أعلاه.

شاعر آخر يشار له بالبنان باعتباره من رواد شعر الهايكو والمقلد للمعلم الأول باشو، ذلك هو الشاعر بوسون بوسا "1716ـ 1783".
ويمكننا من خلال متابعة جادة وعارفة لنصوص الهايكو، أن نخرج بنتيجة هامة تلك هي، أن شعر الهايكو هو "رسم لصور الحياة بكل مكوناتها". من توظيف الأمثلة والحكم والأقوال المأثورة، معتمدا بالمطلق على الحواس، ولعلي القول، أن الشعر كماهية إبداعية تعتمد على حواس الشاعر وتلقفه للرديء والجميل في الحياة البسيطة، ليسقط نظره عليه بطريقة بصرية مغايرة للمألوف، أو يتلقاه كفكرة وبالتالي يأتي الاشتغال على البياض، وهذه المدارك الشعرية هي التي تميز شاعر عن آخر وتجربة شعرية عن غيرها، بمواصفات نقدية صارمة.
خضع شعر الهايكو شأن بقية التجارب الشعرية الكونية الأخرى، إلى تغييرات في بنية النص وبلاغته ومواد تناوله، ولكن بفكر فلسفي أنضج وأكثر فهما، ليصبح نصا مفتوحا لتهشيم الأساليب التقليدية التي كانت بمثابة العائق في اطلاق مخيلة الشاعر، شأن ما جرى على الشعر العربي والفرنسي والانجليزي وغيرها من تجارب شعرية عالمية، نتيجة التطور العلمي والفكري والفلسفي، والخروج من نمطية وجاهزية التفكير التقليدي، حين أحدثت ثورة شعرية فعلية هشمت القوالب الجاهزة وأعتقت الشعر من أساليب تقيد حركة القصيدة التي تحررت

كثيرا، حتى انفتحت على عوالم أكثر اشراقا وعطاء وتوظيفا لغويا، بأساليب تحاكي الراهن الشعري وضرورات التحول الأساسية في بنية القصيدة من خلال توسع معرفي وادراكي كبير في فكر المبدع المتطلع لتجارب خارج حدود وطنه والتلاقح معها، كتجربة الرائد بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي وغيرهم الكثير. ليمتلك الشاعر ذاته الشاعرة المتحررة من قيود الكتابة التقليدية، ولكن بنسق شعري ليس متاحا للكثير ممن زاحموا الشعراء الحقيقيين، وبالتالي يتضح الغث من السمين من خلال القراءة الفاطنة لمثقف طليعي يعرف كيف يتعامل مع التوحد مع النص الشعري، اعتمادا على مرجعيته وتفكيره المتقدم زمنا ومكانا ليمنح النص المقروء قيمة فنية شاعرة مؤسسة على تقنية الكتابة الجادة.

ذات التغيير الشعري لمسيرة روح التجديد الضروري المطلوب حدث لشعر الهايكو الياباني.

يقول الباحث المغربي سعيد اكرامي في ترجمته لكتاب ريو يوتسويا (شاعر وناقد ياباني) والموسوم:

"انطولوجيا الهايكو الياباني"

إن التجريد والتعميم في شعر الهايكو هو مطلق الغياب، يعتمد على عدة مميزات هي:

1ـ إنه قول لحظة بلحظة في زمان ومكان محددين.
2ـ يعتمد الجملة الناقصة كما الحياة، فهي لا تظهر أسرارها الخفية، جمل إسمية في الغالب معززة بمصدر، وقليلا ما نجد جملا فعلية.
3ـ توظيفه للحواس: اللمس والذوق والسمع والشم والبصر، لتوظف كإدراكات مادية من الواقع الملموس وليس كاستدعاءات عقلية.
ويعني الكاتب هنا أن شعر الهايكو يغاير تماما في طريقة صياغته النمط الشعري المعروف والمعتمد على الأحاسيس والمشاعر ودربة الكاتب والمعجم اللغوي وبنية القصيدة بموسيقاها الداخلية من خلال المفردة المنتقاة بعناية شديدة فارضا قسوته الإبداعية على أن ينتج نصا متكاملا بعيدا عن الادراكات الظاهرة للعيان كما في شعر الهايكو.
4ـ يوظف الهايكو حالات هزلية، تتقصد السخرية وبث الفرح والابتسامة، لتتحول المواقف الصارمة في الحياة إلى حالات مضحكة.
وهذه الميزة براي تغيرت بمساعي شعراء لاحقين أمثال "شيكي ماساواكا: 1867ـ 1902" الذي اعتمد الصفاء الذهني. بإطلاق العنان للخيال الشعري، وهذا بحد ذاته يعتبر تحررا من قيود الهايكو الموروثة منذ عهد الشاعر باشو.
يلتقط شاعر الهايكو أية لحظة حياتية تزحمه مهما كانت بساطتها كإحساس منه بسعادة قصيرة.

يقول شاعر الهايكو الياباني الشهير "كيوشي تكهاما"
"أن الهايكو هو التعبير العفوي عن المشاعر والحياة من خلال فصول الطبيعة الأربعة".

هنا ينبغي أن نشير للشاعر إيبيرو نكاتسوكا 1887- 1947 الذي يعتبر المتمرد الأول على قوالب الكتابة الجاهزة، بإقحامه أسلوب المشافهة الشعرية، لتتحرر قصائد الهايكو من صرامة المقاطع السبعة عشر ويؤسس " الهايكو الحر".

هناك الكثير من الشعراء العرب، شأن شعراء أوربا خاضوا هذه التجربة وتمثلوا بها، ومن أشهر الأسماء الشعرية في هذا المجال، الشاعر محمد الأسعد الذي يعتبره النقاد أول شاعر عربي قام بترجمة وكتابة شعر الهايكو بكثير من التمكن والتميز، يشير هذا الشاعر والمترجم والممارس لشعر الهايكو، بأن "الهايكو يتسم بالانسجامات اللغوية التي تنسج خيوط ثلاثة أسطر بجمالية جرس الألفاظ والحركات الاعرابية والميزان الصرفي، بالإضافة الى السمة البصرية التي يسميها "لغة الحضور" وصولا إلى لحظة الاستنارة".

هذه التوصيفات العارفة بماهية الهايكو تمنح الانسان ما يحتاجه من الصفاء والنشاط الذهني ومن اثارة وفرح بلذة الكشف.

والهايكو يختلف عن يقية التجارب الشعرية العالمية التي لها من المساحات ما تجعل القصيدة تتحرك في كل المدارات، أما في الهايكو فالأمر مختلف تماما، كونه لا يمتلك الحيز لفعل غير شعري، لشدة الإيجاز اللغوي واقتصاده.

أن للهايكو القدرة على الانتشار خارج حدود بيئته ليغزو آداب دول مختلفة في بلدان الشرق الأقصى وآداب الغرب، فأكد حضوره القوي والمؤثر في الهند والصين وروسيا وأوروبا وأمريكا وعالمنا العربي كذلك، بسبب قدرة هذا الفن على مخاطبة روح الانسان أينما كان، فهو يشتغل بمفردات الطبيعة، وهي أم البشرية جمعاء. ونجد من خلال القراءة الفاحصة والعاشقة لهذا الفن، أن هناك مشتركات كبيرة بين الشاعر والمتلقي، حيث يكون، بغض النظر عن موطنه وجنسيته ولغته، ليمتلك احاسيس تعتمل بدواخله من خلال قراءة نصوص الهايكو، وكأن الشاعر يتقصده هو، حتى وإن كان تواجده في أصقاع كونية مترامية، وهنا تكمن عظمة هذا النمط الشعري الخالد.

يقول المترجم فوزي محيدلي في مقدمته لترجمة شعر الهايكو:

"تتوخى قصيدة الهايكو الإيجاز وضغط المعطى الكلامي. انما تترك الكثير مما لا يقال، مقترحة بعض الترابط والاسباب الموجبة، لكن نادراً ما تجعل ذلك واضحاً. تعمد قصيدة الهايكو النموذجية الى وصف

شيء أو عنصر طبيعي، زهرة، حيوان، أو مكان، متضمنة علاقة بين ذاك المدرك أو المحسوس وبين الشعور الإنساني أو الحالة الذهنية، كذلك تعتمد قصيدة الهايكو بشكل مكثف على لغة شعورية من دون أن تكون قَطْعية أو تعريفية محددة. هكذا، بدلاً من الاستنتاجات والملخصات، إقفال مناقشة أو أجوبة محددة، تتوخى الهايكو فتح الفضاءات، وإيقاظ مروحة من الاحتمالات الذهنية".

وقد نال هذا الفن الاعجاب وتبناه شعراء عرب كثيرون، حين وجدوه مغلفا بالرمزية المكثفة، سيما أولئك المحاصرون بقوانين صارمة من أنظمة شمولية، بتوظيف المفارقة والتكثيف والايجاز، الأمر الذي ساعدهم في إيصال الفكرة المبدعة للقارئ دون تحسس الرقيب المبتلي بالسطحية ورؤية الأشياء عارية دون الغور في مضمون النص، لسذاجته طبعا.

وهنا ينبغي الإشارة أن الهايكو الذي يكتبه الشعراء العرب هو هايكو عربي وليس يابانيا في كثير من الحالات، أسميناها شذرات، أو شعر الومضة، لا علاقة له بقوانين كتابة الهايكو، له خصوصيته واشتراطاته ولغته ومعجميته وحتى صوره، ومن أشهر ما تناول هذا الموضوع المقارن بين الهايكو الياباني وصنوه العربي، الشاعر جمال مصطفى في مقالته الموسومة" مسبحة الهايكو" المنشورة في "المثقف العربي" مذكرا

بأهم الخصائص لكتابة الهايكو الجيدة بنظره "لفك الاشتباك بين الهايكو الياباني ومقلده الشعر العربي" هي:

ـيكتب الهايكو بثلاثة أسطر تمثل الرأس والمتن والخاتمة، وما زيد أو نقص عن ذلك يعتبر خروجا على النمط المعروف.

ـ أن يكون السطر لافتا للنظر وليس طويلا.

ـ التركيز على أن اضاءة النص تعتمد على السطر الأخير.

ـ السطر الثاني بمثابة الحشو الذي يتجنبه أو يسقطه شعراء الهايكو العرب.

ـ ضرورة الابتعاد عن المجازات والتزويق اللفظي والزخارف الشعرية، لأنها ستبتعد عن نمط الهايكو ذو الطاقة الدلالية في تشكيله.

ـ أن يكون الهايكو سهلا وبسيطا من الخارج وذو معنى عميق تحت السطح.

ـ ممكن اللعب على الكلمات لتحقيق مبدأ الاثارة الشعرية.

ـ الابتعاد عن التحدث عن الذات وعدم التركيز على فعل المتكلم.

ـ الابتعاد عن توظيف الفعل لأنه يشتت التركيز.

ـ لا وجود لتسلسل منطقي وطبيعي للجمل الشعرية.

ـ الابتعاد عن حروف الربط مثل "أو، أم، ثم، كما...."

ـ من الممكن توظيف الوزن الشعري.

ـ تقنية كتابة الهايكو:

(ماذا، متى، أين) مثلا:

غصن أجرد (أين)

غراب (ماذا)

عتمة الخريف (متى)

ـ تقنية المقاربة:

ضباب تشرين

عمتي العجوز

تسأل من أنا

هذه المجاورة تخلق تعتيما وضبابية مطلوبة في هذا الالتباس في الفهم.

ـ تقنية التفتح التدريجي حيث تكون الضربة الأخيرة هي خاتمة الفكرة وذروتها.

على جرس المعبد

تنام

فراشة

ـ تقنية الانتقال من العام الى الخاص. أو من الجزئي الى الكلي وبالعكس.

السماء كلها
في حقل الزهور الفسيح
زهرة الخزامى

ـ تقنية التلغيز. وغالبا ما نجد حل اللغز في السطر الثالث.

الزبون يشتري لغيره
البائع يطرد فكرة الاحتفاظ بواحدة
محل بيع الشواهد

ـ تقنية اللعب على الكلمات:

وهي تقنية معروفة لكل الشعراء لتوظيف الصور البلاغية ذات الغموض مثل التورية، بمعنى أن الهايكو يقول شيئا والمتلقي يفهم شيئا آخر.

وهناك العديد من التقنيات الرئيسية والفرعية مثل تقنية التضاد وتقنية المشهد وتقنية التعليق وغيرها.

ننتقل إلى قصيدة الومضة العربية ومقارنتها بالهايكو:

ترتكز قصيدة الومضة على تكثيف اللغة والتركيز الشديد واعتماد الاستعارة والصيغ البلاغية، دون تحديد لعدد الأسطر ولا موضوعات تداولها، وأحيانا تبدو الفوارق بين النمطين غائمة ومن الصعب التفريق بينهما. وهناك فارق شاسع بين الهايكو وقصيدة النثر، ذلك أن هذه

الأخيرة تعتمد البوح والسرد وما شابه، لا نود التطرق اليها لأن الفروق واضحة وجلية.

وشعراء الهايكو بحسب الشاعر "جمال مصطفى" ينقسمون إلى ثلاثة أنواع:

الأول: شاعر متخصص بكتابة الهايكو ولا يكتب سواه.

الثاني: شاعر محترف ينظر للهايكو باعتباره فضاء تعبيريا ويوظفه لأفاق تجريدية أو فلسفية توسيعا لأفق اشتغاله.

الثالث: شاعر فنان ويكون رساما ينظر للهايكو من مرجعيات فنية.

الهايكو والشعراء العرب:

لا زمن محدد لتوظيف الهايكو من الشعراء العرب، ولكن ما تقوله المراجع أن الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة، ذيل قصيدته باسم (الهايكو- تانكا) عام 1968:

هايكو:

يا باب ديرتنا السميك

الهاربون خلف صخرك السميك

افتح لنا نافذة الروح

تانكا:

أجاب شيخ يحمل الفانوس في يديه

يوزع الشمعات
على نثار دمنا المسفوك
وحين سلمنا عليه
بكى... واصفر وجهه... ومات

وهذا النص تفعيلي كما يلاحظ القارئ، يبدو من خلاله أن الشاعر المناصرة على اطلاع بشعر الهايكو، لكنه ابتعد كثيرا عنه ما عدا بعض الإشارات مثل: مقارنته بين الباب والسميك.

ومن الشعراء العرب الذين اهتموا بشعر الهايكو هم:

الشاعر المغربي أحمد لغليمي، في ديوانه "رسائل حب إلى زهرة الأرطاسيا" خصص هذا الشاعر ديوانه للهايكو، يقترب الشاعر كثيرا من الهايكو:

لشدة الأزهار
عدلت عن
عبور الغابة

القمر في البركة
تبعثره
ضفدعة

ومن الشعراء العرب في سوريا: محمد الأسعد ولؤي ماجد سليمان ورامز طويلة. وللهايكو حظوة كبيرة في سوريا لكثرة المشتغلين عليه من شعراء ونقاد ومترجمين ودارسين، وتم تأسيس مجموعات لعشاق الهايكو في سوريا.

على جرف صخري
تتلاطم الأمواج متلاحقة
لا تطال ظلي
(رامز طويلة)

دون أن ننسى تجربة كاتب هذه المقالة الشاعر جواد وادي في ديوانه الصادر حديثا والذي أسماه "سيرة الفصول" والذي يقترب كثيرا من شعر الهايكو.

كلّما تناثرَ الزجاجُ
رفعوا شاراتِ النصرِ
وبدأتِ الأهازيجُ

مَنْ يزاحمُ الطيرَ

في علوهِ...
لا يسمعُ زقزقةَ العصافيرِ.

لا نريد أن نذهب أبعد من ذلك لتسليط الضوء على شعر الهايكو والكشف عن الكثير من أسراره في هذه الورقة، والذي يحتاج مثل هكذا تجربة غنية دراسات مطولة سنأتي على إنجازها، أو نحن نعمل فعلا على الاشتغال عليها.

من الضروري أن نذكر بعض الشعراء البارزين في الهايكو مع الاستشهاد بنصوصهم خدمة للقارئ والباحث عن الكشف والتقصي والمتابعة، للاقتراب أكثر من شعر الهايكو، هذا الابداع الشعري الذي يستحق أن يطلع عليه المثقف العربي، لرفد التجربة الشعرية العربية بالجديد، خصوصا الجانب الروحي والصوفي منه.

1- شيكي ماساواكا (1867- 1902)

أكد هذا الشاعر على أهمية "الشاسي" (الوصف المابعد طبيعي)، هذه الفكرة قادته الى الوصف البصري بأسلوب يتميز بالبساطة.

المطر الدافئ يسقط
فوق الأجمة العارية
المستنقع المتجمد

نبتة الليف أزهرت
أنا روح
مخنوقة باللعاب

2 - كيوشي تكاهاما (1864ـ 1959)

شاعر متجدد يطلق العنان للخيال، يعتمد على القيم العسيرة الفهم ذهنيا، عادة ما يوظف الرمز:

ثعبان هرب
رمقني بعينيه
وبقي وحيدا بين الأعشاب
تتناول الفتيات شتلات الأرز
بريق الماء يهتز
فوق ظهر قبعات البردي

3 - إيبيرو نكشوكا (1887ـ 1946)

دعا هذا الشاعر إلى توحيد اللهجة العامية مع اللغة الفصحى، أسس الهايكو الحر المتحرر من المقاطع السبعة عشر، محفزا على التجديد:

صورتي
التي خرجت من المرآة
جاءت لعرض الأقحوان

الحاضنة
توقفت بدلو مليء ب "بزاق البحر"
ثم مضت

4ـ سيكيتي هارا (1839ـ 1950)

نجح في التعبير عن الجمال الصارخ والحاد، وأحدث صدمة لشعراء الهايكو.

الشجرة اللزجة
تفلق ببلطة
صوت امرأة سليطة
القمر
فوق الجبال الثلجية
أسقط امطار البرد

5 - هيساجو سوجيتا (1890ـ 1946)

هذه الشاعرة تتحرى الدقة بين المشهد الخلفي والمشهد الأمامي أو الظاهر وما وراءه، اعتبرت أعمالها من المصادر المهمة لدراسة الهايكو المعاصر.

أقص الحرير
سيقان الدخان تتماوج وتتشابك

في النافذة
بتلات الأقحوان
تتقوس في بياضها
تحت ضوء القمر

6ـ سوجو تاكانو (1893ـ 1976)

شعر سوجو هو الأقوى للوظيفة الرمزية، وكان من أبرز شعراء مدرسة الهوتوجيسو .

نملة الأسد
لا نسمع غير الريح
تهب أشجار من الصنوبر
نسيج العنكبوت
منصوب
أمام الزنابق

نقول هنا، لا ينبغي لأي قارئ مهما كان مستواه أن يستسهل هذا التوظيف الغامض والذي يطرح هذا السؤال:

كيف يتسنى للقارئ العربي أن يتصالح مع شعر الهايكو الذي يحتاج إلى عاشق بمواصفات صوفية، وعلى قدر كبير من الخزين المعرفي والفلسفي لفهم هذا النمط الشعري الذي يبدو للقارئ العادي مفكك

الصياغات والجمل ظاهريا وبفهم سطحي، ولكنه في معانيه شعرا فلسفيا خالصا.

7 - كاكيو توميزاوا (1902ـ 1962)

استعمل الكثافة الرمزية في نصوصه، رائد مجدد في شعر الهايكو.

رافعة
ترسم ظلالها مع الغروب
تسحب أجنحتها مثل الدخان.
أصوات مكتنزة لأحذية
تتواصل بانتظام
بجانب المصباح

8 - كوانغاتا (1900ـ 1997)

شاعر مفكر يعتمد على التحفيز الذهني وقارئه يجب أن يفكر مليا حين يقرأه.

القواقع تتناسل
غارقة في غريزتها الجنسية
امرأة تخيط فستانا
إلى زهرة القرنفل

يأتي النمر
طائرا

9 – دكوتسو إيدا (1884ـ 1962)

يعتمد في شعره على الحياة التائهة، لا يحب المدينة وصخبها، دائم التواجد في البادية التي عبر عنها في قصائده، حيث يعتبرها هي الأرض العجيبة التي تتكاثر فيها الآلهة والأرواح.

ليلة تحت ضوء القمر
ظل جبل فوجي الهائل يظهر
يا له من صقيع
أمام بوابة معبد الجبل
يمر السحاب نشوان
باعتدال طقس الربيع

10ـ نيجي فوبونو (ت2002)

تأثرت بشعرية الفضاء لغاستون باشلار، بدأت مشوارها الإبداعي بالرسم، حيث عبرت عن رؤيتها الشعرية بالخطوط والألوان.

الربيع يتأمل
عاقدا يديه
فوق جذور مرّة تنمو بسرعة

آه يا زهرة شجر البرقوق
كم نذبل
داخل المكتبة

11- طاي كاكيموتو (1928-

بدأت قصائدها بكتابة شعر الطانكا ثم تحولت إلى قصائد الهايكو.

يمضي الصيف
أزيح الستارة
فلا أرى شيئا
عندما تقترب مني فراشة الشتاء
جرس المعبد الضخم
يتحرك بخفة

12- سي أيماي (1950-

من المعجبين بشعر باشو وشوشون كاتو وإزرا باوند، يكتب السناريو للسينما.

المنارات
التي تضئ عباد الشمس
انطفأت

طرقات طوكيو
كأمعاء
تحت ضوء القمر

13ـ شوسون كاطو (1905ـ 1993)
بدأ بشعر الطانكا ثم تحول لكتابة الهايكو، يكتب القصيدة اليومية، موظفا الوجود الإنساني المليء بالدهشة والغرابة.

ما يصلح لأبنائي
لا يصلح لي
ربما أحتاج تقويما جديدا
عندما ارفع قبعتي
تنتشر زرقة الليل
في سماء الشتاء

نوارس الشتاء
الأحياء بلا مأوى
الأموات بلا قبور

14ـ هيكيغودو كواهيغاشي (1873ـ 1937)

أطلق نظرية خاصة به أسماها "هايكو بلا مركز"، نادى بقوة بتحرير الهايكو من صرامة التقليد.

ثور راقد
أو صخرة غافية، سيان
فالأعشاب ستنمو
مندهشا
أجد نفسي بعد سنة نوم
وحيدا

15ـ شيكي ماسواكا (1867ـ 1902)

كغيره من معظم الشعراء، اهتم أولا بشعر الطانكا ثم الهوكو، اعتمد في توظيفاته الفن التشكيلي الغربي لنسج قصائده، زاوج بين الشعرية اليابانية والفنون الجميلة الغربية.

زوبعة الصيف
أغطية الأوراق البيضاء
فوق الطاولات تتطاير
رمال بين فروج الأصابع
الغمام ينسحب

في صباحات الخريف

16ـ هوساي أوزاكي (1885ـ 1926)

عاش حياة تشرد في أواخر أيامه، تتناول موضوعاته الوحدة والألم. واعتبر طريقة عيشه في آخر حياته قريبة جدا من حياة شعراء العراق الذين أسميناهم "الصعاليك"

على الشاطئ الرملي
حاولت جاهدا أن التفت
لا أثر للأقدام
أذهب لتسميد الخضروات
أمي هل ولدت
فقط لأجل هذا

17ـ سانكي سايتو (1900ـ 1962)

بعد مرضه تفرغ لكتابة هايكو العدم، يطرح في قصائده أسئلة إنسانية موجعة.

ساق الهندباء قصير
ثقب أزرق
يعلو الى أعلى نقطة في السماء

النهر بعينه اليمنى
وبعينه اليسرى
يرى فارسا

18ـ يوكو سيغاوا (1938ـ
تعرضت هذه الشاعرة لمرض أدى إلى تفرغها الكامل لكتابة هايكو العدم بطرحها أسئلة إنسانية مؤلمة.

في اليوم الذي خسرنا فيه الحرب
لا ظل
لأستريح، لهذا مشيت

عندما يعتدل الطقس
اختي الصغرى تغتبط بالفصل
كذلك اختي الكبرى

19ـ ساكيزو تاكادا (1906ـ 2001)
جمع بين الشعر والكتابة والموسيقى، فكان متعدد المواهب، عضو في الرابطة الدولية للهايكو. ترجم الهايكو للغة الإنجليزية، للعديد من الشعراء.

كم هي شاسعة هذه الأرض
في قصر الملك العظيم
العصافير تتزاوج
الخطاطيف الصغيرة
تفتح مناقيرها بحجم
رؤوسها

20 - **ميتسيو طكهاتشي** (1937-

روائي وكاتب وناشر كتب الهايكو التقليدي والمعاصر، نال عدة جوائز.

يضرب قطعة فحم
بأخرى
كأنه يقيس الظلمات
تنمو الأعشاب البرية
إلى أن تصبح أشجارا
في يوم قائظ

الهوامش: اعتمدت هذه المقالة أساسا على:

* انطولوجيا الهايكو الياباني للكاتب ريو يوتسويا، ترجمة سعيد بوكرامي ط1 2013 عن الشركة الجزائرية السورية للنشر والتوزيع ـ الجزائر.

*جاك كيرواك: كتاب الهايكو، ترجمة لينا شدود عن منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف.

*كتاب أجمل حكايات الزن يتبعها فن الهايكو. تأليف هنري برونل، ترجمة محمد الدنيا من إصدارت المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت.

مقالات من موقع المثقف ومواقع أخرى.

يلفظ حرف الكاف في أسماء الشعراء كما الجيم المعطشة في الكلام المصري.

الفهرس

جيل المحنة 5

مصطفى عبد الله منجم شعري أفل قبل الأوان 17

إبراهيم الخياط في ديوانه جمهورية البرتقال 37

قراءة في ديوان خالد خشان قصائد مستعملة 51

حين يقاتل الشاعر ليظل الأمل نافذته للحياة 61

محمد طالب محمد البوسطجي قراءة في ديوان (آهات لا تنتهي) 79

بلقيس حميد حسن شاعرة يحترق النبيذ على شفتيها 103

فراس عبد المجيد شاعر يخرج من ركام الأزمنة المرّة 115

الشاعر ستار جبار الدراجي في ديوانه الجديد الرصيف العاري 139

وديع العبيدي في ديوانه 147

رحلة مع شعر الهايكو الياباني 159